

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

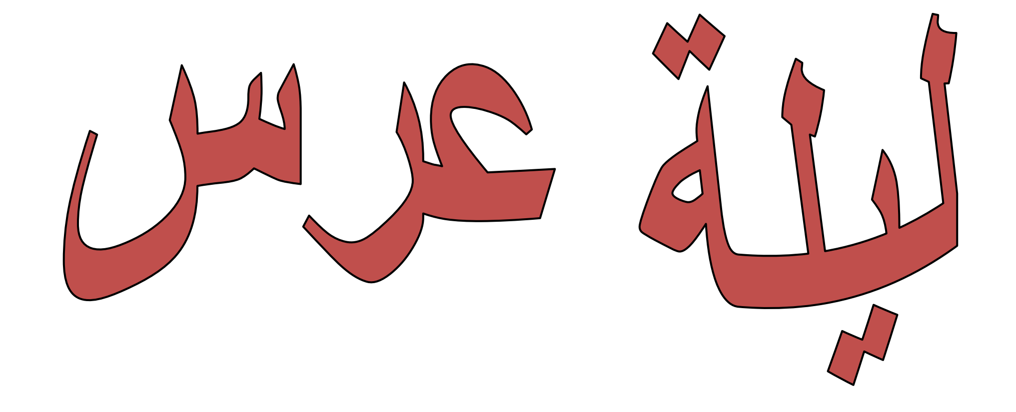
٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات اجتماعية

جمال شاهين

ليلة عرس

جمال شاهين



محاولة اعتقال

رفع معتصم الغطاء عن جسده النائم على أثر سماعه صوت رنين جرس باب الشقة في تلك الليلة الشديدة البرودة ، مع ما يصاحبها من ظلام دامس ومطر غزير ، فنظر إلى زوجته النائمة بجواره فوجدها هي الأخرى قد استيقظت على رنين الجرس ، فهمس كأنه حالم : هل هو جرس الباب ؟!

فقالت والدهشة مرتسمة على وجهها من السؤال: بالتأكيد أنه جرس الباب .. فجرس الهاتف رنينه مختلف.

فقال وهو يرفع الغطاء كله عن جسده ويستوي جالسا : حق ذلك! .. لقد غفلت عن اختلاف النغمتين ..وها هو يرن مرة أخرى !

وتمطى في الغرفة قليلا ، وأدخل رأسه في طاقية صوفية وقال: سأرى .. من الطارق ؟! بل من هذا المزعج في مثل هذه الليلة الباردة ؟!.

وغادر الغرفة متجها إلى باب الشقة ، وتبعته زوجته وهي في غاية القلق والتوتر ، بل كانت ترتجف خوفا ، فاقترب معتصم من باب الشقة الرئيسي ، وكان يتحرك بخفة حتى لا يسمح لقدميه بإخراج أيّ صوت يسمعه من يطرق الباب ، نظر معتصم من عدسة الباب فشاهد ثلاثة رجال يرتدون ملابس أنيقة ، وتقع هذه الشقة المطروقة ليلا في الطابق الثالث من عمارة مكونة من ستة طوابق في شارع البحر الأزرق ، في حي الزهرة وهو من الأحياء الحديثة في العاصمة .

همس معتصم بصوت فيه قلق ورجة : من بالباب ؟!

فقال أحد الرجال : افتح ـ يا معتصم ـ نحن رجال أمن .

فهمس معتصم لنفسه : أمن ..أمن! .. ويعرفون اسمي ! والتفت حوله فوجد زوجته وراءه ، فهمس قائلا وهو يضع سبابته على فمه: عودي لغرفتك .. إنهم رجال أمن ..لابد أنهم يريدون مهديا .

ورفع صوته مخاطبا رجال الأمن مظهرا الدهشة : أمن!.. شرطة ! .. وماذا تريدون منا ؟!

فقال أحدهم بصوت هادئ أو بدا طبيعيا لمعتصم: افتح .. يا معتصم ! .. نحن نريد أخاك مهديا.. ولدينا معلومات مؤكدة أنه يختبئ هنا .. عندك في بيتك يا سيد معتصم !.. عجل افتح قبل أن نخلع الباب.

فرد عليهم معتصم وقد عادت إليه شجاعته وهدوءه : انتظروا قليلا ريثما أخبر زوجتي ، ثم أفتح لكم .

ولم ينتظر الجواب فهرع مسرعا إلى الغرفة التي يرقد فيها مهدي ، فوجده هو الآخر مستيقظا وقد ارتدى ثيابه ، فقال مهدي : رجال المخابرات يا معتصم ؟

فهز معتصم رأسه بالإيجاب وقال : أجل ، ما أنت فاعل .. يا أخي ؟

قال مهدي وقد حاول أن يظهر شجاعا وهادئا أمام أخيه وزوجته: سأهرب .. سأهرب من نافذة الحمام .. وبواسطة مواسير المياه سأهبط على حديقة البناية .. ولسوف أتصل بك وأطمئنك.. وداعا.

ودخل الحمام ومن شباكه الصغير تسلل إلى الشارع ، واختفى في ظلمة الليل الحالك ، وخلال هروب مهدي عن طريق مواسير المياه ، كانت زوجة معتصم قد أكملت ارتداء جلبابها السميك الفضفاض ، وتهيأت لدخول رجال الأمن البيت، وفتح معتصم لهم الباب معتذرا لهم عن التأخير قليلا من الوقت ، واستقبلهم خير استقبال ، فقدم رئيسهم له بطاقته الرسمية وهو يقول متظاهرا بالأسف : نأسف للإزعاج ؛ ولكن لابد من القيام بواجبنا.. فأخوك مطلوب القبض عليه لإثارته الفتن والشغب يوم الاحتفال الكبير في الجامعة ، ولفعلهم هذا الشغب أيضا أمام الحاكم ، وكذلك للإهانة العظمى التي لحقت بالحاكم في ذلك اليوم .. ولنا أكثر من ثلاثة أشهر نبحث عنه ونطارده ، وقد علمنا أخيرا أنه يختبئ عندك في بيتك .

وكان معتصم يسمع هذا الكلام وتبريرات مداهمة الشقة ـ وقد تناول بطاقة الضابط وتأملها ـ فقرأ بعينيه اسم الضابط عليها النقيب ساري .. من مباحث أمن وحماية الدولة ، فلما أنهى الضابط كلامه ، وموضحا سبب هذا المجيء ، أعاد له معتصم البطاقة التعريفية ، وهو يبتسم

ونادى زوجته : تعالي يا أم محمود !.

ولما أقبلت الزوجة نحو زوجها ، وقد ألقت السلام على القوم بصوت هامس ، قال معتصم : أيها السادة البيت تحت تصرفكم ، أرجو أن تفتشوا البيت كل البيت لتطمئن قلوبكم .

فنظر الرجال بعضهم إلى بعض ، وقال رئيسهم النقيب ساري وهو يبحلق في عيون معتصم : هل غادر مهدي المكان ؟!

فرد معتصم بثبات : قوموا بواجبكم كما تقولون .

فقال أحد مساعدي النقيب : فهل تعتقد أنك بكلامك هذا تصرفنا عن تفتيش المسكن ؟

فرد معتصم وما زالت الابتسامة ترتسم على محياه : فتشوا .. أيها السادة !

فأشار لهم رئيسهم بالتفتيش ، وكانت زوج معتصم تلوذ به ، وهو يهز رأسه باستمرار ، ويحد النظر في الضابط المسئول ، وتحرك الرجلان يبحثان في الغرف ، وينظران في خزانات الثياب ، وبحثوا تحت الاسرة ، وفي زوايا البيت المختلفة والحمامات ، وتم هذا كله في دقائق معدودات ولما انتهى التفتيش السريع تقدم أحدهم قائلا لسيده وهو في حيرة : لا يوجد أحد في البيت سوانا يا سيدي !

ففرك الضابط النقيب أنفه بشدة ، والتوتر والضيق ظاهران عليه ، وقال مخاطبا لمعتصم : ألم يكن مهدي هنا ؟!

فقال معتصم بهدوء : هذه مهمتك يا سيدي النقيب !.. يمكن للأخ أن يزور أخاه!

قال الضابط القائد وهو ينظر في عيني مهدي بغضب خفيف: أرجو أن أراك في الصباح في مركز الشرطة التابع لهذه المنطقة .. مركز شرطة حي الزهرة يا أبا محمود .

فرد معتصم باسما وببساطة قد تكون مصطنعة : أنا تحت أمرك يا سيدي ! أي ساعة تحب أن يكون ذلك ؟

قال رجل الأمن وكأنه حزين لخيبته في اعتقال مهدي بعد كل هذه الشهور من التقصي والتحري : الحادية عشرة صباحا إذا تكرمت علينا !

وغادر الرجال الثلاثة الشقة ، وهم في دهشة وحيرة من فشلهم في القبض على الطالب النشيط والناشط السياسي في الجامعة "مهدي مروان "، فلقد أكد لهم المخبرون أن الشاب الطالب في كلية الهندسة يختبئ في شقة أخيه "معتصم مروان" الكائنة في شارع البحر الأزرق .



لما اختفى صوت أقدام رجال الأمن السري أغلق معتصم باب الشقة بالمفتاح من جديد ، والتفت إلى زوجته التي خلعت الخمار عن رأسها وقال وهو يتنهد بعمق: آه! .. لقد كانت ساعة رهيبة !! .. الحمد لله على كل حال يا أم محمود !

تمتمت المرأة بالشكر للرحمن عزّ وجل، وبدأت تعود لها نضارة وجهها وحيويتها وقالت: فعلا كانت ساعة رهيبة .. يا الله! .. الحمد لله .. الحمد لله على عدم حضور الأولاد هذا الموقف! .. الحمد لله حمدا كثيرا .

فقال معتصم وهو يمشي نحو غرفة النوم : الحمد لله .. ربنا لطف بنا .. لو كان محمود هنا وسأله رجال الشرطة عن عمه مهدي ماذا سيرد؟! أو حتى أمينة الصغيرة .. الموقف رهيب !! من حسن حظنا وحظهم أنهم لم يكونوا هنا الليلة .. مرة أخرى وأخرى الشكر لرب العباد .. الرعب والخوف قاتلان !!

ـ مهدي ؟! أتظنه نجا ؟!

ـ مهدي رياضي ، لا خوف عليه من تسلق المواسير ، لو حدث له شيء أثناء الهبوط لشعرنا به

ـ أرجو له السلامة .

ـ فكرت أن أنزل خلف العمارة لأطمئن عليه عندما ذهب هؤلاء القوم ؛

ولكنني قلت لابد أنهم سيبقون رجالهم للمراقبة .. فالمعلومات لديهم دقيقة .. وهم يعرفوننا جيدا .

ـ لابد أن رجالهم بقوا ، .. ربنا يستر.

ـ هذه ليست أول مرة يتعرض فيها مهدي للمطاردة والاعتقال .. ولكنهم هذه المرة أساءوا

لرجال الدولة ولرأس الدولة إساءة كبيرة .. هداهم الله .. سيقبض عليهم آجلا أم عاجلا .. وهو هذه المرة مصرٌ على عدم تسليم نفسه بعكس المرات السابقة كان يسلم لهم نفسه خلال أيام معدودات .

أخذت الزوجة تدعو لوالدة زوجها بالصبر والثبات ثم قالت : كان الله في عون الوالدة أم محمد تبسم معتصم وهو يتذكر اعتقالات سابقة لمهدي وهزّ رأسه وقال : لا عليك يا أم محمود ! ربما أنت أول مرة ترين رجال الأمن يأتون إلينا في هذا البيت ، في بيت الوالد عرفنا ذلك كثيرا أمي تعودت على شغب مهدي ومشاكله مع الأمن السري والاعتقال والتوقيف .



اعتقال في شقة نمر

أما مهدي المطارد من قبل رجال الأمن السري ، فقد هبط عن طريق مواسير المياه على أرض الحديقة الخلفية للعمارة ، وتحرك بخفة وهدوء بين الأشجار ، ثم غادر العمارة من بابها الخلفي ولما أصبح على رصيف الشارع حمد الله على نجاته منهم ، وما زالت الرياح الباردة تعصف عصفا والأمطار تتساقط بغزارة وقوة فهمس محدثا نفسه : أين المفر .. أيها الفارس؟ .. إلى صديقي "نمر حميد" أرجو أن أجده في شقته .

وفي خطوات سريعة اخترق مهدي مروان عدة شوارع ، وفجأة وهو يهم بقطع أحد الشوارع وقفت أمامه سيارة الشرطة الليلة، فارتبك لحظات ، ثم تمالك أعصابه المتوترة عندما حدثه قائد السيارة : أين أيها الشاب! في هذا البرد والمطر والليل ؟!

فقال مهدي ، وكان قد أخفى نصف وجهه بغطاء رأسه موهما لهم أنه يفعل ذلك من شدة البرد : لقد أوصلت أخي للمستشفى القريب من هنا ، لقد أصابه مغص حاد ، فنقلته إلى المستشفى بصحبة أمنا ..وتركت أمي عنده وأنا عائد للبيت ، فأنا أسكن قريبا من هنا في شارع الشريعة وتمعن السائق ومن معه في هيئة مهدي قليلا ، ثم انطلقت السيارة بهم مسرعة ، فأسرع الشاب في اجتياز الشارع ، ثم دخل أحد الأزقة وهو

يقول : لقد نجوت منهم مرة أخرى فلله الحمد يا الله .

ومن شارع لشارع وصل بطل قصتنا الشاب المطارد من قبل مباحث أمن الدولة إلى حي يقطن فيه صاحبه "نمر حميد" ، ولما دخل العمارة ليصعد إلى شقته ارتفع صوت آذان الفجر معلنا عن بداية يوم جديد .. وعندما وقف مهدي أمام شقة نمر يطرق الباب ، وقبل أن يُفتح الباب هبط رجل من الطوابق العليا .. رجل تجاوز الستين عاما ، ولما وجد مهديا أمامه حياه وقال بدون مقدمات : لقد حضر رجال الشرطة مساء أمس وقبضوا على ساكن هذه الشقة يا أخ ! .. لعلك صديقه أو قريبه. رد مهدي باضطراب : قبضوا عليه!.. نعم ..نعم ..أنا صديقه ، كيف قبضوا عليه ؟ ولماذا ؟!

فقال الشيخ : ما اسمك يا بني ؟

فأجاب مهدي الرجل الشيخ : اسمي زكي يا سيدي الشيخ ! أخبرني ما الذي جرى لصديقي

فقال الشيخ : ليلة أمس عند صلاة العشاء ، وأنا صاعد هذا الدرج ، عائد من الجامع القريب كان رجال الشرطة يقبضون على ساكن هذه الشقة ـ وأشار بإصبعه السبابة إلى بابـها ـ وسمعت بعض سكان العمارة يتهامسون ويدّعون أنه رجل خطير ، مطلوب بعدة جرائم ، فمنهم مَن يقول أنه محتال عالمي ، ومنهم مَن يقول أنه مهرب عالمي شديد الخطر ، والله أعلم بالحق أيها السيد ... ! يا سيد زكي ما اسمك قريبك أو صديقك ؟؟

فقال مهدي من غير تردد : اسمه نمر ، فهو الآن بين يدي الشرطة .. أنا في الحقيقة ـ أيها الشيخ المحترم ـ قادم من سفر ، فقلت أمكث عند صاحبي بضع ليالي أبحث خلالها عن شقة أو منزل في أحد الأحياء ، أشكرك يا عم .

فرد الرجل قائلا : عمك أبو أحمد ! .. أسكن في الدور الرابع الشقة الأولى جهة اليمين يا ابني يا زكي !.

فقال مهدي: شكرا لك يا عم أبا احمد !..سأنتظر قليلا هنا ، ثم أذهب باحثا عن فندق أستأجر فيه سريرا .

فقال الرجل : هيا معي إلى المسجد أيها الغريب ، نصلي الصبح سوية ، وتظل في المسجد حتى تشرق الشمس ، ثم تبحث بعد ذلك عن سرير في أحد الفنادق .

رد عليه مهدي : سوف أستريح على هذا الدرج ثوان أيها الشيخ الفاضل ! ثم أتبعك يا عمي أبا أحمد !.

وتابع أبو أحمد نزوله درج العمارة متوجها للمسجد لصلاة الفجر جماعة ، بعد هذه الثرثرة الطويلة ، فلما خف سماع صوت نعل حذاء أبي أحمد قرع مهدي باب الشقة مرة أخرى بطريقة خاصة ، ففتح له الباب ، وتعانق الصديقان مهدي ونمر ، وقال الأول : لـقد دهشت عندما سمعت هذا الشيخ يتحدث عن اعتقالك ، وأنهم قبضوا عليك .. لقد اندهشت حقا ، فلقد

سمعت حركتك أمام الباب عندما طرقت الباب المرة الأولى .

فقال نمر : نعم ، عندما طرقت الباب كنت خارجا من الحمام ، فقد توضأت للصلاة ، فاقتربت من الباب ، وقبل أن أنظر في عدسته سمعت صوتيكما .. وما يقول عنا العم أبو أحمد ؟

قال مهدي : الشرطة .. ما قصة الشرطة ؟!

ـ هو يقول الصدق ، لقد داهمت الشرطة البيت أمس ، وأمسكوا بصاحبنا "علي سالم" معتقدين أنه أنا ، فماذا يتحدث عنا جيراننا ؟

فجلس مهدي على مقعد واسع وذهنه مشغول بكثير من الأفكار ، وربما الأحلام ، وقال مجيبا : إنـهم يقولون عنك مهرب دولي ، وبعضهم يقول إنك محتال عالمي ، وأنا جئت إليك في آخر الليل هاربا من شقة أخي معتصم ، فلقد داهمها الليلة رجال المباحث السرية ، فلقد اكتشفوا مكان اختفائي ، فأرى أنّ الأمر بدأ يضيق علينا ، سوف أستأجر بيتا في حي وضيع مكتظ بالناس ، أما الآن فعلينا بالصلاة ، ثم الهرب قبل أن يكتشف رجال الشرطة أنهم قبضوا على رجل بالخطأ .. فلا أظن يا صاحبي أنّ هناك خطرا على الأخ علي .

فقال نـمر : أعتقد هذا ؛ ولكن المحققين قد يكون لهم قول آخر ، ولا يرون رأينا ، وأنا أيضا سوف أغير سكني اليوم .. يا صديقي ! فهؤلاء القوم مصممون بالقبض على زعماء الطلاب وقادتهم في ذلك اليوم الخالد في تاريخ الجامعة ، كيف يقف الطلبة أمام حاكمهم المسلم يطالبونه بإلغاء القوانين الوضعية ، وترك التبعية لدول الكفر ؟! كيف يكون هذا ؟!

قال مهدي معقبا : قضيتنا تحتاج إلى تضحيات جسام ، وصبر جبابرة ، فإيقاظ الناس من سباتهم أمر عظيم وشاق .

ونهض مهدي واتجه نحو الحمام للاستنجاء والوضوء ، وبعدما قاما بإقامة الصلاة جماعة في داخل الشقة قام نمر بإعداد الشاي ، وأحضر معه بعض قطع البسكويت ، وملأ الكوبين ووضع أحدهما أمام مهدي وهو يقول : اشرب يا أخي ! .. محنة ولسوف تزول وتندثر بإذن الله تعالى لا تهتم .. والصبر ممدوح .

قال مهدي مشجعا لصديقه في الحزب والجامعة : لست خائفا من الحبس والعقاب ..لابد من التضحية والصبر .. ونحن لم نفعل حراما ومنكرا .. وهذه المطالب والشعارات منذ نشأت الحركة الدينية في بلادنا وبلاد المسلمين ونحن ننشرها ونعلنها على الملأ يا أخي نمر .. ليست بدعا من الحديث .. وذاك المنشور الذي وزع يوم حفل التخرج وزعنا مثله أو شبيها له كثيرا في الماضي .. وهذه اليافطات التي أزعجت رجال الأمن .. لا تكاد تخرج مظاهرة حزبية إلا وقد رفعتها أو رفعت مثلها .. أم القضية أنها رفعت أمام الحاكم فأصبحت إهانة للحاكم .. عجيب أمر السلطة اليوم في بلاد المسلمين ! .. ألا تريد أن تصحو السلطة من نومها في العالم الإسلامي وتحكم البلاد بشرع الله ودين الله .. الناس يرغبون بدينهم وإسلامهم .. لماذا نحكم بغير دين الله ؟!

قال نمر حميد : اهدأ أيها الأخ الصديق .. لم نأت بشيء جديد .. ولكنهم اغتاظوا لأنهم طلبوا من قادة الطلاب الهدوء وعدم رفع الشعارات السياسية وخاصة الإسلامية أمام شخص الحاكم وبعض الشعارات المكتوبة على اليافطات كانت حقيقة حادة ومزعجة ، وفيها اتهام جريء بالعمالة للغرب والصليبية العالمية والماسونية ..

ـ كان لابد أن يصل لحكام المسلمين اليوم " أن لا أسرار اليوم " .. إذا كانت صحف بلادنا لا تتحدث عنهم بصراحة فصحافة الغرب وإعلام الغرب يتحدثون بصراحة عن تبعيتهم لهم .. لماذا الخداع والتمويه على الأمة ؟! لماذا ؟! .. عقيدة البراء والولاء يجب أن تكون واضحة لا لبس فيها .. والتعاون والاستفادة من مدنيتهم يجب أن تكون واضحة أيضا .. وعلى الأمة أن تعرف الثمن المدفوع للحصول على مدنيتهم وحضارتهم .. هذا إذا كان لديهم حضارة .

كان هذا الحديث قائما وهم يشربون الشاي ويأكلون قطع البسكويت ، ولما لم يتكلم نمر بشيء قال مهدي : تكلمنا كثيرا بمثل هذا الكلام .. والآن قل لي كيف قبض على الصديق والزميل علي سالم .. ولم يقبض عليك أنت ؟!

ضحك نمر ضحكة قصيرة وقال : القدر !.. وأيضا تضحية من علي ومغامرة !! .. صلينا المغرب

معا في مسجد الصديق أبي بكر .. المسجد القريب من هنا .. وكان عندي صداع شديد .. وقلت له ونحن في المسجد سأمرّ على الدكتور حاتم صديقنا ، فعيادته كما تعلم في نفس شارع المسجد ، واتفقنا على أن نلتقي في البيت ـ هذا ـ للعشاء معا بعد صلاة العشاء ، وهو كما تعلم يحمل مفتاح للشقة منذ تصاحبنا .. وكثيرا ما نام عندي .

وتابع نمر حميد الحديث فقال : لم أجد الدكتور في العيادة ، فقد انصرف لمعالجة مريض في بيته ، فجلست مع الممرض حلمي ، وتحدثت معه بالهاتف من العيادة ؛ لأن هاتف بيت المريض معروف لديهم ، فالدكتور يتردد عليه باستمرار .. فهو زبون دائم كما يقول حلمي .. فأخبرني أنه لن يتأخر ، وطلب مني الانتظار في العيادة .. وهو يحتاجني في موضوع

ابتسم مهدي وهمس : موضوع الزواج ؟!

ـ نعم ، فهو يرغب بالزواج مرة أخرى ، فامرأته مريضة للغاية كما تعلم ، وهي قد رضخت لرغبته بالزواج عليها .. كأنها خشيت الطلاق لما رأت إصراره على الزواج .

وبعد هنيهة عاد يقول: دخل العشاء ولم يحضر الطبيب ، فقد تأخر واضطررت أن أصلي في مصلى داخل العمارة الكبيرة .. ولما حضر تحدثنا في العلاج والزواج .. وكنت قد اتصلت بالبيت لأتحدث مع علي سالم ، وأعتذر له عن التأخير الطارئ .. فلم يرد البيت .. وقبل أن أغادر العيادة تحدث معي علي سالم مخبرا لي أنه معتقل بدلا مني ، وهو موجود لدى قسم الشرطة .. فهم معتقدون أنه أنا ، وهو لزم الصمت لأدبر أمري.. فاعتذرت للدكتور وعدت للبيت متسللا .. أعد نفسي للهرب والاختفاء.

ـ ألم يعرفوه ؟! أيعقل أن يخطئوا ؟!

ـ الذين قاموا بعملية الاعتقال الشرطة ، وليسوا البوليس السري .

علي سالم

بعد أيام من محاولة اعتقال مهدي ونمر خرج السيد علي سالم من دائرة التحقيق الأمني ، ورغم اكتشاف رجال التحقيق أن المقبوض عليه لم يكن نمر حميد حبسوه عندهم بضعة أيام على ذمة التحقيق ، .. لم يعترفوا بخطئهم ، ولولا واسطة عم الشاب الموظف الكبير في أجهزة الدولة لربما ألصقت به أي تهمة، رغم أنهم لم يجدوا في ملفه في الجامعة ، وقبل الجامعة أي نشاط حزبي وسياسي له .

وأعادوا الكرة في اليوم التالي على بيت نمر حميد ولكنهم لم يجدوه ، وأثناء مراقبتهم للمنزل قبضوا على رجال قد حضروا للشقة بسيارة نقل ، وبينما هم ينقلون محتويات البيت أوقفوهم ، ثم تبين لهم أن هؤلاء باعة يشترون الأثاث القديم والمستعمل ولا علاقة لهم بنمر حميد ، وإنما تسلموا مفتاح الشقة من وكيل صاحب العمارة الذي استلم المفتاح من نمر حميد ، وكلفه ببيع أثاث المنزل لتكملة حساب أجرة الشقة .

استمر مهدي ونمر يتابعان حكاية اعتقال علي سالم ، وهما في غاية الدهشة لاستمرار توقيفه لعلمهما الأكيد بعدم وجود نشاط سياسي للسيد علي ، فكان مهدي يقول لنمر : هذه الحكومات وأجهزة أمنها أعتقد أنها ترى كل من صاحب حزبيا فهو حزبي .. على هذا الأساس ـ والله أعلم ـ يطيلون حبس الصديق علي سالم .

تنهد نمر ثم أغمض عينيه وهو يقول : وهم يعلمون أن لنا زملاء من أحزاب أخرى يا أخي الفاضل .. أليس عماد ماركسيا ؟! وغيره كثير .. هم يقصدون الإذلال والتحقير .

ولما علما بالإفراج عنه بعد أيام ، لم يستطيعا زيارته في بيت والده إنما تحدثا معه بالهاتف وهـنئاه على سلامته والنجاة من براثن رجال المكتب الأمني والسياسي، واتفقا على لقاء خارج البيت لسماع قصة التحقيق معه .

ولما جرت إحدى مباريات كرة القدم ذات الشعبية الكثيرة الجماهير التقى الشبان الثلاثة في مدرج المباراة ، وانشغل المشجعون بالصياح والصفير والتحدي ، ودارت بينهم بعض

التعليقات والمازحات حول الرياضة والجماهير اللاهية بمثل هذه المنافسات .. ابتعد الشباب الثلاثة إلى مكان يخف فيه الحضور والصياح .. ثم أخذ علي يحدثهم بقصة اعتقاله والتحقيق معه فقال باسما : تركني نمر ذاهبا للعيادة ، ومكثت في المسجد لصلاة العشاء جماعة .. وبعد الصلاة عدت للشقة منتظرا عودة نمر من العيادة ـ عيادة الدكتور حاتم ـ لتناول الطعام كما اتفقنا ، وكنت قدرت أن نمرا تعالج بين الصلاتين وسيصلي العشاء ويأتي سريعا .. فدخلت المطبخ لتجهيز الشاي ريثما يأتي الأستاذ .. وقبل أن أشعل النار وقد ملأت الإبريق بالماء ، وكنت أترنم ببعض أبيات الشعر التي حفظتها حديثا .. رن جرس الباب وأنا مستغرب لرنينه لعلمي بأن نمرا صاحب البيت ومعه المفتاح .. فخطر في بالي أنه أحد الجيران أو الزملاء .. فتركت الإبريق لأفتح للطارق ؛ فإذا هم رجال شرطة بلباسهم الرسمي .. دخلوا الشقة وطلبوا مصاحبتهم لقسم البوليس .. حاولت الرفض والاعتراض ولكنهم أصموا آذانهم .. وقام أحدهم بالبحث داخل الشقة عن أشخاص غيري ، ثم أغلقت الباب وسرت معهم ، وقد كان بعض سكان العمارة أو أناس من الشارع التموا على سيارة الشرطة ، ودفعوني في مقعد السيارة الخلفي .. وأنا أهزّ رأسي بسخرية .. أنا أعرف أنهم يقصدونك يا أخ نمر .. فقلت لنفسي : اصمت لنرى نهاية هذه السخافة .

ولزم الشابان الصمت فتابع علي الحديث : شيء مضحك !.. قلت لهم وأنا في السيارة يا ناس أنا ضيف لست صاحب الشقة ..فيضحكون ويسخرون ويقولون عندما تجلس أمام المحقق قل له ما تريد لعله يصدقك .. وصلنا للقسم ومركز الشرطة .. ساقوني إلى إحدى غرف أحد الضباط كما علمت بعد مكث يسير وسمعت أحدهم يقول : امكث هنا حتى يحضر سليم بيك ولما طال انتظار سليم بك استأذنت أحد الضباط بالحديث بالهاتف وأنا متوقع الرفض حقيقة ولكنه نظر إليّ ثوان وقال : تكلم واختصر . وأخبرني بأني مطلوب لأجهزة المخابرات المدنية ، فتبسمت وهززت رأسي ولم أعقب على كلامه ، وأخذت السماعة وتحدثت معك كما تذكر ، وأنا أعرف مليون في المائة أنه ليس أنا المطلوب .. المطلوب الحقيقي أنت يا نمر ..

عند منتصف الليل حضر الضابط سليم وحياني ورحب بحضرتي وأخبرني بأنني سأرحل لدائرة التحقيق في مخابرات المدينة ، فحاولت أن أبين له هو الآخر أنني مقبوض عليّ بالخطأ فقطع عليّ الحديث قائلا : أن تفاهمنا سيكون هناك .. فعدت للصمت ثانية ..

ثم حضر شرطيان وساقاني إلى سيارة جيب عسكرية ، وانتقلنا لدائرة الأمن السري للتحقيق ولكنهم لم يحققوا معي تلك الليلة ، وقد وعدني حضرة الضابط سليم بالتحقيق في الصباح .. وهكذا نمنا أول ليلة عندهم .

وقبل الظهر في اليوم التالي أدخلوني لمكتب السيد سليم فرحب بي ثم قال : أفطرت ؟ فأشرت برأسي نعم .. فقال : هل شربت شيئا ؟ فذكرت له أنني شربت كوبا من الشاي .. فعاد يقول لي : أتشرب قهوة ؟ .. أنتم الشباب تحبون شرب القهوة بنهم .

لزمت الصمت ، فتركني جالسا في الغرفة الصغيرة وغاب بضعة دقائق ، وعاد ومعه موظف يحمل دفترا ، وقبل الحديث والتحقيق دخل أحدهم بفنجان القهوة ووضعه أمامي فقال لي الضابط سليم : تفضل اشرب يا أخ نمر.

فقلت وأنا أنظر في وجهه باسما : أنا لست نمرا .

ضحك الضابط وقال متهكما : جميل !! أنت نمر في ساحات الجامعة .. أما هنا فهل أصبحت هرة ؟ !!

فقلت بامتعاض وضيق لغبائهم وعجلتهم : لست نمرا ولا هرة يا حضرة الضابط أنا ...!

فقال ساخرا أيضا : لست نمرا ولا هرة فما تكون إذن ؟!

همست : علي !!

فتجهم وجهه وقال : علي !! .. ما معنى علي ؟!

فقلت : اسمي علي سالم .

وقد هيئت بطاقتي الشخصية ووضعتها أمامه على المكتب ، فنهض قائما ـ وقمت مثله ـ يتفرس فيّ والغضب يرتسم على وجه وأخذ الهوية وهو يقول : ماذا تعني ؟!

ـ أعني أن رجالك قبضوا عليّ أنا ولم يقبضوا على نمر .

دقق الضابط في الهوية ثم ضغط على زر كهربائي ، ولما دخل شرطي قال له صائحا : أين نبيل ناظم ؟! فليحضر عاجلا .

ورجع فجلس وهو يقول : أنت لست نمرا ولا هرة .. أنت علي سالم .. الهوية ليست مزورة .. كيف حصل هذا ؟!

ـ كنت في شقة نمر عندما جاءوا للقبض عليه .. ولما قلت لهم إنني لست نمرا ظنوا أنني أسخر منهم ..

ـ وأنت تظاهرت بأنك نمر ليهرب صديقك ؟!

ـ لقد فتشوا الشقة يا سيدي .. لم يكن في الشقة إلا أنا .. ونحن زملاء في الجامعة ، ولدي مفتاح شقته للصداقة التي بيننا .

وبعد تحقيق حول ملابسات هذا الخطأ لم يفرجوا عني ، وأخذوا يتحرون عني في الجامعة ، وهل أنا حزبي أم لا .. ومع خطأهم قضيت عندهم عشرة أيام حتى توسط لي قريب من أقارب الوالد فأعتقوني.. طبعا سألوني عنكم ، وأدليت بما يعرفونه عنكم .. وأنا لا أعرف أكثر من ذلك .. إنكما شابان تنتميان للحزب الإسلامي الذي يدعو لعودة حكم الإسلام في الأرض .. وتبرأت أمامهم من مشاركتي في الاحتفال الصاخب ولا أدري هل صدقوني أم لا ؟ .. والضابط سليم بعد أن اكتشف الخطأ الذي وقع به رجاله لم أره ثانية .. ونقلت لقسم الأمن الذي اعتقلني ، وبعد إجراءات إدارية خرجت إليكم وأنا أحس أنهم معي .. أمامي وخلفي .

قال المهندس مهدي : شعور سوف يفارقك بعد حين .. فنحن لنا سنوات ونحن تحت العين .. الحمد لله على السلامة يا صديقنا الفاضل .. نحن قد تعودنا على الالتقاء بهم ..

فقال نمر : لقد أزعجني القبض عليك يا صديقي .. وأشكر لك تضحيتك .. لولا اتصالك تلك الأمسية لربما صادوني .. لأنه قد لا يخطر في بالي أنك معتقل سأظن أنك انصرفت لأمر طارئ .. ومع ذلك اعلم أني قضيت ليلة اعتقالك الأولى في البيت في الشقة .. لابد يا أخي الكريم من

التضحيات والصبر حتى يقضى الله تعالى أمرا كان مفعولا .

قال علي سالم : كان الله في عونكم .. أنا من عشرة أيام كرهتهم ، وكرهت حياتهم .. وعجبت لصبركم على الاعتقال والتحقيق .

تبسم مهدي وقال : تعودنا على اللقاء بهم .. وتحمل آذاهم .. والدين يحتاج للتضحيات والصبر كما قال نمر ..

قال نمر : ألم يصبر بلال وعمار يا أخ علي ؟!

قال علي : أتمنى لكم تحقيق أحلامكم !

قال مهدي : هذا ليس حلمنا وحدنا ؛ بل حلم الأمة .. ألا تشتهي أن يكون حكم الله ﷻ في الأرض ؟!

ضحك علي وقال : كيف لا أشتهي ؟!



مسلم بالبطاقة الشخصية

في المدينة الكبيرة مصرف معروف ومشهور للناس ، مديره رجل مال وأعمال ذو غنىً واضح للعيان ، هو الاقتصادي الدكتور "سامي سبل نصار " ، يعتبر هذا الرجل في بلدنا رجل أعمال ناجح ، هذا الرجل الكهل لقد تيسرت له الدراسة في إحدى جامعات أمريكا ، فعندما أنهى دراسته الثانوية في قطره العزيز التحق بجامعة أمريكية لدراسة الاقتصاد والتجارة والإدارة ، وقضى من سنوات عمره هناك عشرين عاما ما بين دراسة وعمل ، ولما عاد الرجل لوطنه بكل الخبرة التي يحملها عمل في إحدى المؤسسات المالية الكبرى بضع سنين ، ثم أنشأ مصرفا مع ثلة من الأصدقاء ، وأصبح مديرا له ، فهو يعتبر رجلا ثريا من أثرياء المدينة ، وكذلك يعتبر رجل اقتصاد دولي ، له أهميته في بلده ، وهناك مَن يعده خبيرا عالميا ، فهو اقتصادي أمريكي ، فقد تشرب أيضا مع الاقتصاد أفكار الغرب الأمريكي وثقافة الغرب الأمريكي والأوروبي جميعا ، فهو لا يهمه الدين ، ولا يسأل عن الحلال أم الحرام ما دام الشيء جائزا في القوانين المعمول بها في البلد ، مع أن هذا الرجل في شهادة المواليد التي حصل عليها من دائرة إحصاء وتسجيل النفوس مسلم من أبوين مسلمين .

تزوج سامي سبل هذا فتاة أمريكية جذورها عربية ، قد هاجر أهلها قديما إلى أمريكا ، التقى بها أثناء الدراسة في الجامعة ، وحدث بينهما انسجام ، ولما حصل على الشهادة الجامعية الأولى { البكالوريوس } تزوجها ، ووهبه الخالق الوهاب منها ثلاثة أنفس ، الفتاة الكبرى بكره الآنسة سميرة ، وهي أثناء أحداث هذه القصة تدرس الطب في أمريكا ، فبعد أن أتمت دراستها الثانوية من مدرسة أهلية خاصة ذات مواصفات عالية ، سافرت لتلك البلاد ، وهي الآن تعيش في كنف أخوالها ، وأما الفتاة الثانية فهي الآنسة فوز ، التي تصغر أختها بسنتين ، وقد التحقت في جامعة قطرية ، تتعلم إدارة الأعمال ، وقد أنهت سنتها الثالثة ، أما النفس الثالثة، فهو فريد الابن الأصغر لهذه العائلة ، وهو يتعلم في كلية الشرطة ؛ ليكون ضابطا في المستقبل ، فسامي سبل يرى نفسه بأنه ابن الغرب وابن الثقافة والحضارة الأمريكية وربيب العلمانية ، من أجل ذلك لم

يكن سامي نصار يمارس الشعائر الإسلامية التقليدية من صلاة أو صوم أو حتى الاحتفاء بالأعياد الإسلامية ، فهذه الرموز العظيمة في الإسلام لم يكن لها في حياته شأن أو أدنى اهتمام ، ونفس المعاني والأفكار موجودة في حياة زوجته "شادية"، فهذه الأسرة منذ سنة مضت كانت تمر بها عاصفة ، ويمكننا أن نقول إعصار ، فهم في حالة انزعاج وقلق وتوتر وخوف من المجهول والعجيب أن سبب هذا كله هو دخول نور الإيمان والإسلام إلى هذه الأسرة .

فإن الابنة العزيزة "فوز سامي" تركت التقليد الأعمى للغرب ، وتابت إلى الله ، فالطالبة التي كانت ترتدي أجمل الثياب الفاضحة وأغلاها سعرا ، والتي كانت تتابع صرعات الموضة من لبس وقصات وتصفيف الشعر وزينة مثيرة وتبرج .. من لبس الثياب القصيرة المثيرة للشهوات والأغراء ، والتي كانت تقضي جل أوقاتها في اللهو والمرح البعيد عن لهو ومرح التعاليم الإسلامية .. لقد كانت فوز تختلط بالشباب في الأندية والمقاهي المختلطة ، وتمزح مع الشباب الأجنبي من غير حياء ولا رادع من دين أو عادات وتقاليد ..وكذلك ترافقهم في الحي والجامعة والمسرح ودور السينما، وتسمع للأصوات الموسيقية الصاخبة والأغاني المثيرة للغرائز والشهوات ، وكانت مشغولة في الحفلات الكثيرة الأسماء ، من حفلات أعياد الميلاد لها ، ولأصدقائها ومناسبات أخرى .

الفتاة التي تجد كل تشجيع من والديها للانخراط في هذا النمط من الحياة الماجنة والفاسدة ، لا توجد في بيئتهم قيم الإيمان والأخلاق لتردعهم ، فوالداها والحي الذي تعيش فيه كل ذلك يدفعها للانغماس في هذه الملذات الشهوانية البهيمية البعيدة كل البعد عن تعاليم وأخلاق الدين والإيمان ، هذه هي البيئة التي كانت تحيا فيها الآنسة فوز .

كل هذا قد تغير فجأة .. الفتاة عادت لدينها! .. الفتاة استيقظت من جاهليتها! ثابت إلى الله ، وبدأت تعود للأيمان المفقود من كيانها .. أخذت تتعلم الإسلام ؛ كأنها دخلت الإسلام من جديد .. فهي تقرأ عن الصلاة والإسلام .

فوز سامي اهتدت ورجعت لجلبابها وثوبها الشرعي وعنوان كرامتها وشرفها في هذه الجاهلية

فقد ابتعدت عن أصدقائها المستهزئين بإسلامهم ، وهجرت أبناء وبنات صديقات أمها وأبيها وقد أتلفت آلات الموسيقى وأشرطة الأغاني والموسيقى التي تملكها ، وأخذت تؤب إلى الله تعالى وقد لاحظ والديّ فوز هذا الانقلاب المفاجئ من أول الأمر ، وظنوه بل اعتقدوه لحظة عابرة أو سحابة صيف زائلة .

يتذكر الوالد سامي عندما أخبرته زوجته شادية أنّ فوزا تسألها : لماذا لا تصلي أنت يا أمي ؟! بل لماذا لا يصلي أبي يا أمي ؟! ألسنا مسلمين ؟! وهل يكون إسلام من غير صلاة ؟!

كان الأب يظن ويعتقد أنّ هذه الأفكار دخلت البيت بسبب مرض ووفاة صديقة فوز الآنسة جميلة التي أصيبت بمرض عضال مخيف ، خطفها من بين أحضان أسرتها وأصدقائها ؛ لذلك لم يكترث الوالدان للتغير الذي طرأ على الفتاة ، ولكن فتاة قصتنا كانت على غير ما يظنون ، فلقد تخلصت من ملابس العري والتهتك ، ونبذت أصدقاء الإثارة ، بل أخذت تنطلق إلى بيوت الله والمراكز الدينية لتستمع الدروس والمواعظ ، وأحيانا تذهب إلى صلاة الجمعة في المساجد المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، مضت شهور وتلتها شهور والفتاة تزداد تمسكا بتعاليم الإسلام الواضحة ، وأصبحت صديقاتها من الفتيات الملتزمات بآداب الحجاب والصلاة والإسلام ، أشرطة الكاسيت المسجل عليها آيات القرآن تصدح في جنبات الفيلا ، أصبح هناك صراع بين الأسرة المتغربة والفتاة المهتدية التائبة ، باتت فوز كابوسا لهم ، ارتفعت وتيرة التهديد والوعيد ، والفتاة تصر على التمسك بتوبتها والسير على هدي المسلمين الأولين ، لا تبرج ، ولا اختلاط ، ولا مصافحة للرجال الأجانب ، رجعت فوز لفطرتها السليمة .. إلى النور الذي أزال ظلمات الجاهلية الأولى .

ابن أحد الأصدقاء

ذات مساء والسيد سامي سبل يجلس وزوجته شادية في غرفة واسعة مؤثثة بأحدث وآخر طراز من المقاعد والديكورات والتحف والصور الفاتنة ، وبعد أن رشف الرشفة الأخيرة من فنجان القهوة الذي قدمته له زوجه أم فريد ، وقد شربه وهو ملتزم بالصمت ، وهو ينفث دخان السيجارة ، وكانت زوجته تجاريه في الصمت وشرب القهوة ونـفث الدخان ، فلما انتهى من شرب القهوة قال بضيق وألم وحيرة: هذه الفتاة لا يصلح مـعها إرشاد ونصائح ، وقد ازداد تمسكها بهذه الطقوس القديمة العتيقة ، فأرى أن أزوجها من ابن أحد الأصدقاء قبل أن تنهي جامعتها .. لعلها تؤب وتثوب لنفسها ، وترجع لما كانت عليه من حياة وشباب ومتعة ، لقد صبرنا عليها كثيرا يا شادية! وأعصابي لم تعد تحتمل أفعالها وأقوالها ، فأود أن نفعل ذلك بهدوء لا أدري ما الذي قلب هذه الزهرة الجميلة وغيرها ؟! .. لقد كنت أبني عليها آمالا كبيرة في إدارة البنك .

ردت شادية على زوجها قائلة ؛ وكأنها مستخفة بفكرة زوجها : ومَن يقبل بها من أبناء أصدقائنا؟! .. فكلهم يعرفون أخلاقها الجديدة ، ويعرفون عنادها ، وقسوة قلبها .. فكم من مرة حاولت ردها وردعها عن هذه الطقوس العتيقة ؟!..وكم صديقة من صديقاتها الجدد قد طردتهن من هذا البيت؟!..وكم صرخت وكسرت من هذه الأشرطة التي تصغي إليها؟! .. ولكنها يا دكتور سامي تزداد تمسكا بهؤلاء الصديقات ، وتمسكا بهذه الأشرطة ، وتمسكا بهذه الثياب السوداء الموحشة .. لا أدري كيف تلبس النساء مثل هذه الملابس؟!كيف يتحركن ؟! كيف ينظرن ؟! كيف يتنفسن ؟! كيف يشتغلن ؟! .

فأجابها الأب والضيق جلي على وجهه وحتى في نبرات صوته : أنا ضقت ذرعا من أفعال ابنتك لم نعد نسر في لهونا وسهراتنا ونزهاتنا ، أمست مجالسنا كلها عن فوز ، وآخر أخبار فوز .. هل صحت من جنونها؟.. هل خلعت جلبابها؟ هل استيقظت من سكرتها ؟ يا أبا فريد التدين ليس هكذا.

ثم رفع صوته محتدا : يا شادية .. لقد أصبح البيت دار عبادة .. قرآن .. قرآن .. أريد أن أزوجها وأخلص من شرها .

فقالت الأم وهي تحرك يدها كأنه تدعوه للهدوء: وأنا مثلك قرفت منها ، وجعلت حياتي نكدا وغما .. مَن من أبناء أصدقائنا يرضى بها ؟! .. وهي بـهذه الصفات؟ وكل أصدقائنا حياتهم كحياتنا، من يشتري هم من صاحبه ؟! يا أبا فريد!

فقال الرجل المتمدن والمتغرب أكثر من الغربيين : أنا فكرت كثيرا في أمرها وأمرنا ، ولنا أكثر من سنة نقول اليوم أو غدا يرجع لها عقلها ، ومضى الزمن ولم ترجع لحياتنا الجميلة ، بل تزداد تهورا وحمقا وتعلقا بهذه العادات البالية.

وسكت قليلا يلتقط نفسه ثم قال مصطنعا الهدوء : فكرت بأمرنا ، فبان لي حلول مختلفة لإنهاء مشكلتنا بسلام وبدون مشاكل مضاعفة ، فتبين لي أن الحل الأمثل والأيسر هو زواج ابنتا ، فقد لمست من حديثي المتكرر معها بأنها لن تتغير مع الأيام .. ولن تصحو .. وأنا لا أحب الصراع والقتال ، ولا أحتمل أكثر من سنة .. فرأيت أن الزواج هو الحل الأيسر لنا ولها .

فقالت الزوجة بعد أن تأملت بقرار سامي : حسنا ؛ ولكن من يرضى بها من أبناء أصحابنا يا سامي ؟! أم تريد أن تزوجها لرجل من الشارع ؟! أم المهم أن نخلص من شبحها ، وما تثيره في أنفسنا من تلك العادات والتقاليد البالية التي عفا عليها الزمن وأكل كما أشرت يا دكتور سامي فعندئذ قال سامي بكل هدوء وروية ؛ وكأنه وصل إلى ما يريد وارتاح إليه : لقد كلمت زميلي في البنك الأستاذ عمارا في هذا الموضوع وهذه المشكلة ، فأنبأني أن لديه شابا قد أنهى دراسته الجامعية منذ سنوات ، ويشتغل في مصنع كبير ، وله رغبة بالزواج ، وقال لي بأنه سيحاول إقناعه بفوز ، وسيرد عليّ خلال أيام قلائل .. وأنت عليك أن تهيئ الفتاة لهذا المشروع ، وأن تقنعيها بالقبول بهذا الزوج المنتظر .

ضحكت الأم وقهقهت وهي تسمع كلام زوجها ، ولما كفت عن الضحك قالت : والله يا سامي! أنت رتبت الأمر قبل أن تفاتحني فيه ؛ ولكن هو ما قررت وخططت ، فالأستاذ عمار

صديقنا وكذلك زوجته رامية ..سأكلم فوزا بهذا الأمر العسير .. واعلم الآن بما أننا انتهينا من شأن العاقة ، أنه قد جاءتنا اليوم رسالة من ابنتنا سميرة تخبرنا فيها بأنها قادمة إلينا قريبا ، وبرفقتها ابن أخي فارس لقضاء إجازة في ربوع بلادنا ، فعليك أن تنظم وترتب وقتك للتجوال معهم يا سامي!.

فرد سامي بضيق : عندنا موسم عمل كبير يا شادية ! فإما أن تهيئ السائق "يام" للقيام بهذه المهمة ، أو احجزي لهم عن طريق شركة سياحية .. أنا لست مهيأ للسياحة والرحلات هذه الأيام ، فسوف يعقد في البلد مؤتمر اقتصادي مهم ومطلوب مني المشاركة فيه .

فاتحت الأم المتغربة ابنتها فوزا في مشروع زواجها القادم ، فرفضت فوز الفكرة بشدة ، وقالت لأمها بصراحة ووضوح وجرأة: أعلم أنكم تودون الخلاص مني، لقد ضقتم بي ذرعا ، فالانحلال والخير لا يجتمعان في هذا البيت ، وأنا بإذن الله لن أعود للضلال والفجور والخمور أبداً .. أبداً يا أمي ! لقد كنت في ضياع وضلال مبين ، الحياة ليست كأس خمر ، ورؤية فيلم سينما ماجن أو حتى غير ماجن ، أو حفلة رقص وغناء ، وأكل وشرب .. حياتنا هذه طريق إلى الدار الباقية إلى الخلود والسعادة الدائمة التي لا ينغصها مرض وفراق وموت.

وتريثت فوز لحظات ، ثم تابعت الكلام قائلة : واعلمي يا أمي العزيزة ! أنني لن أتزوج إلا من شاب مسلم .. مسلم بمعنى الكلمة ليس صورة فقط أو مسلما في البطاقة الشخصية فحسب إيش مسلم يشرب الخمر؟! مسلم يرقص مع النساء ، يجلس مع هذه مرة ، ومع تلك مرة .. الحمد لله الذي أنقذني من الهلاك والغي .. أتزوج ممن أريد أنا لا أنتم ! ولابدّ أن يكون ذلك بعد إنهاء دراستي الجامعية .

كانت فوز تتكلم بانفعال وحدة مع سيطرتها التامة على أعصابها ، وردت عليها أمها بكلام شديد مع صراخ وحدة وعصبية وسب ، وخلاصته "لابدّ من زواج فوز " ، فقالت فوز : لولا الحياء والسمعة والعيب لرحلت عنكم ، وسكنت في شقة وحدي ؛ لترتاحوا من رؤيتي وسماع جنوني كما تقولون ؛ ولكني فتاة عزباء لا يحق لها العيش في منزل لوحدها ، فاصبروا حتى أنتهي

من سنتي الأخيرة هذه ، ولسوف يهبنني الله تعالى الزوج الصالح .

فقالت أمها بجفاء وغضب : نحن نزوجك مَن نشاء ومَن نختار .

فقالت الفتاة بشجاعة وصلابة : أين الحرية التي علمتموني إياها يا أمي ؟! أين الحرية التي تتشدقون بها في مجالسكم وندواتكم وسهراتكم ؟!.. "لازم الشاب والفتاة يعطون الحرية الكاملة في كل شيء ".. أين حرية المرأة التي تتغنون بها ليل نهار؟! .. ففي هذه القضية المصيرية كشرتم عن أنيابكم وتتشددون عليّ .. أليس من حرية المرأة أن تختار شريك حياتها ؟ أو ليس من الحرية أن أعيش كما أريد وأرغب وأشتهي ؟! ..أليس من الحرية أن ألبس ما أشاء وأحب وأرضى ؟! أليس من الحرية التي علمتموني إياها أن أفعل ما أريد من غير رقيب ولا حافظ أو حسيب ؟! .. ألستم أهل الحرية كما تزعمون ؟! وهل الحرية والانفتاح فقط هو أن ألبس فستانا قصيرا أو بنطالا مزريا ؟ وهل الحرية أن أعرض شعري وجسدي للناظرين؟! أمي لقد كنت في جاهلية وظلام أسود ..أمي أنا عرفت الدرب والجادة .. هل يعقل أن يترك المرء النور والجمال ويعود للعتمة والجهل؟ أمي ! فلم لا يكون لي الحرية في لباس الجلباب وفي غطاء شعري وحتى وجهي ؟! فلم لا تكون لي الحرية في إكمال جامعتي والزواج ممن أراه مناسبا ؟!.. قولي لأبي العزيز ، لا زواج قبل إنهاء الدراسة .. ولا زواج من مسلم في البطاقة الشخصية فقط ، لا أريد أحدا من أبناء نواديه وحفلاته .

تقبلت الأم ثورة ابنتها بغيظ شديد وسخط وحيرة أيضا ؛ ولكنها أمام اندفاع الكلام من بين فكي فوز كالماء المتفجر، لم تستطع الكلام سوى التلويح باليدين والضغط على الأسنان والشفتين ، ولما سكتت فوز عن الكلام ، قالت الأم : ما كنت أود أن أسمع منك هذه المحاضرة نحن تركنا لك الحرية في الصلاة واللباس والتدين على أمل أن يكون ذلك غمامة صيف زائلة ، واعتقدنا أن ذلك حدث لك متأثرة بموت صديقتك العزيزة جميلة ؛ ولكن هذا التدين زاد عن حده ..ونحن كما تعلمين أسرة منفتحة لا نستطيع الرجوع للوراء إلى عصور الظلام والتخلف.. نحن الآن في عصر الحاسوب والفضاء والذرة .. فما أنت عليه تقاليد بالية

تبسمت فتاة قصتنا من كلام أمها الساذج ؛ ولكنه للأسف كلام كثير من المتغربين ، وقالت بكل ثقة : يا أمي المثقفة ! ما دخل الدين والعبادة في عصر الحاسوب والإيدز والسرطان ، فالدين لكل الأيام والعصور .. فالكفار والغرب عامة أولئك المتحضرون والمتقدمون أولئك النصارى واليهود الذين يعيشون في بلاد التقدم والتكنولوجيا هل ترك كل هؤلاء الناس أديانهم ؟! ..هل أغلقوا كنائسهم ومعابدهم؟! بل ما زالوا يتعصبون لنصرانيتهم ويهوديتهم ، بل نرى يا أمي ! الهندوس والبوذيين يتعصبون لآلهتهم .. نحن فقط الذين انسلخنا عن ديننا وإسلامنا ، فلا نحن متمسكون بإسلامنا ، ولا نحن خرجنا منه .. وما زال هؤلاء الكفار ينعتوننا بالمسلمين مع بعدنا المذهل عنه.. فلم لا نكون مسلمين حقا أيتها الأم ؟! أما فكرت أن تسجدي لله ولو مرة واحدة في حياتك ..آه .. يا أمي! .. إنك ابنة أمريكا.. هل يا ترى والدك عندما هاجر إلى هناك كان يعرف الصلاة والصوم ؟! أليس هناك موت ؟! هل نحن مخلدون في الدنيا؟! ها هي جميلة الجميلة والصغيرة، قد وقف الأطباء عاجزين عن مداواتها وعلاجها ، فماتت بالمرض العضال ، فما نفعها تقدم وحضارة الغرب.

فقالت الأم بغيظ وقهر : آه منك يا فوز ! أصبحنا لا نستطيع الكلام معك .. كم أود أن تفارقي هذا البيت ! نحن لم نتعود على ما أنت فيه .. نحن نعيش في كابوس ، حتى الطبيب النفسي هرب من لقائك ، وخشي على نفسه من أفكارك .. لقد نغصت علينا مرحنا وحياتنا الهادئة الساكنة الجميلة ، لم نعد نلتذ بحفلة وسهرة ..عليك أن تقبلي بالزواج ، فأعصابنا قد تعبت.. كيف نحيا من غير خمر ورقص وطرب لقد أدمنّا على ذلك؟!

ردت فوز بحزن وألم : هذه هي المأساة يا أمي ! .. أمضيت حياتك في أمريكا ما بين ملهى وحانة ومرقص ، فكيف تتغيرين ؟! كيف تتركين العادات السيئة التي تغلغلت في دمك وبدنك ؟! ولكني سوف أظل أدعو لـك بالهداية والتوبة ، لعل الله يهديك للصراط المستقيم أمي الحبيبة ! لقد كان العرب في الجاهلية يشربون الخمر، ويفعلون الموبقات؛ ولكنهم بالإسلام الصادق الصحيح تركوا تلك الأفعال القبيحة والملذات الفانية ..وأول الطريق يا أمي الحبيبة النية

الصادقة

هاجت شادية ثانية ، فأخذت بالصياح والهذيان وتشتم ملاكها الجميل من جديد ، النور الذي بزغ في ظلمات البيت المعتم ، فتركت فوز أمها تصرخ وتولول ، وانسحبت لغرفتها ، وهي تلهج بالدعاء إلى الله أن يثبتها على ما هي عليه من الهداية والأيمان ، وأن يصلح الله قلب أمها المتغرب والمتفرنج أكثر من الفرنجة .



فوز

فوز سامي فتاة تجاوزت العشرين ربيعا أثناء حوادث هذه القصة ، فقد ولدت فوز في ولاية من الولايات الأمريكية الخمسين خلال غربة والدها للدراسة ثم العمل، ودرست سني حياتها الأولى في مدارس الغرب ، وهي فتاة ذكية وجميلة ، ولما عاد والدها لبلده العربي ، استقر في حي لا تكاد تفرقه عن أحياء الغرب الحديثة سواء في فيلاته أو قصوره أو شققه حتى في شوارعه ومتاجره ، وفي الحي الغربي أو المقلد للأحياء الغربية دور للهو ، ونوادي مختلطة ، ومسابح مختلطة ، وفيه داران للسينما ، ومسارح وصالات ومراقص وحانات ، ومدارسه أيضا مختلطة ، صمم وأنشئ على الطراز الغربي حذو القذة بالقذة ، وهذا الحي يقطنه كثير من الأثرياء الكبار في البلد ، وكذلك رجال المال والأعمال ، وكذلك عائلات الدبلوماسيين والغربيين ، فهو حي راق تتوفر فيه الأسواق الحديثة والخدمات التي تتطور سريعا ، وفوز ابنة بيئتها ، وهذا هو الحي الغربي ، فأبوها وأمها ومن يدور في فلكهم من الأهل والأقارب والجيران على شاكلتهم ، الأسماء فقط عربية وإسلامية ، أما الطباع والصفات فهي غربية إلى حد كبير ، الفتيات يلبسن البنطال القصير أو الضيق المجسم العورات من غير حياء وخجل ، احتضان شاب لفتاة لا حرج في تقاليدهم ، إنهم أصدقاء وأجواء حرية.. اللهو مع الشباب جائز وأمر طبيعي ومباح في عرفهم سواء في المسبح أم ملعب التنس أم غير ذلك من الأماكن

الرحلات والاشتراك في الحفلات والمهرجانات بين الجنسين جائزة في شرعهم من غير حرج وضيق وتزمت ، ومنتشر بينهم التدخين سواء من السجائر أم النرجيلة، وشرب المسكرات شائع بينهم ، لا أحد ينكر عليهم ذلك ، بل بعض الأسر في الحي انتشر بين أفرادها تعاطي المخدرات ، وكذلك الأسماء الأوربية شاعت بين فتيان وفتيات الحي ، الغيرة على الأعراض ضعيفة بينهم إن لم تكن ميتة ، الرجل في الحي الغربي يرى ابنته أو أخته أو زوجته في مواقف مريبة فيتظاهر بأنه لم ير شيئا ، اختلاط تام بين الرجال والنساء والشباب والفتيات دون حرج أو عوائق ، هذه هي البيئة والأجواء التي كانت تعيش فيها الآنسة فوز ، ومن يعترض ويحتج على

هذا الوضع يوصف بالرجعي والمتزمت والمتخلف ؛ كأن الحي وسكانه قطعة من حي مدينة غربية أوروبية أو أمريكية ، ومع كل هذا الفساد المحيط بهذا المجتمع الصغير أنهت فوز دراستها الثانوية بنجاح ، وحصلت على مقعد جامعي في إحدى كليات التجارة والاقتصاد ، واختارت تخصص إدارة العمل على أمل العمل في المصرف الذي يملكه والدها ويديره في نفس الحين ، والآنسة فوز سامي كانت تقضي بعض مواسم الصيف والعطلات الصيفية أو الشتوية في رحلات إلى أوروبا أو أمريكا ، فأبوها ذو مال جسيم يوفر لها ذلك ، وأمها شادية تعشق السفر والرحلات السياحية ، فهذه صورة بسيطة للمكان والزمان اللذين نشأت فيهما بطلة هذه القصة فوز سامي ، تلك الفتاة الحسناء .



قد يكون من حسن حظ هؤلاء الناس أنهم يتعلمون في جامعات يتعلم فيها الفقراء والأغنياء والمتدينون والمتحللون .. وتتصارع عادة في الجامعات الأفكار والطروحات المختلفة سواء الدينية أم غير الدينية ، ففتاتنا الجميلة فتاة مستهترة بالحياة ، عندها لهو ولعب وزينة وتفاخر بالأموال والسيارات والرحلات وحفظ أسماء وأخبار نجوم الفن والرقص في العالم العربي والعالم الغربي ، فلباسها لباس فاضح لا حشمة فيه ولا ستر ، وسيارة فاخرة ، وزميل ولهان أو أكثر يحومون حولها كما تحوم الفراشة أو الذبابة حول الفانوس المشتعل ، زينة مثيرة.. عطر فرنسي فواح .. صلاة .. صوم .. طهارة ..إسلام .. هي كلمات تسمع بها أو قد تكون عرفتها من دراستها لمادة التربية الإسلامية أيام المدرسة ، أما تطبيقاتها ومعاني تلك الأسماء فهي طلاسم مجهولة أو رموز مغرقة في الغموض لشاعر من شعراء الرمزية ، وحتى سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فهي لا تعرف منها وعنها إلا النزر القليل .. من هو محمد ؟! ..

قد لا تعرف عنه شيئا مؤكدا أو دقيقا ، قد تقول عنه هو رجل صالح أو مصلح أو هو رجل بعثه الله للعرب القدماء ، فقد كانت فوز تدرس في مدرسة خاصة ، وهذه المدارس كل تركيزها على تحصيل اللغات الأجنبية، فالكوادر التعليمية فيها ـ تلك المدارس ـ أكثر كلامهم أمام الطلاب بتلك اللغات البريطانية الفرنسية ، فاللغة العربية في نظرهم لغة ثانوية ، فالعربية أقنعوهم أنها لا تصلح للرياضيات والعلوم ، وتجد المعلمين في تلك المدارس يودون لو يدرسون مادة التربية الإسلامية باللغة الإنجليزية ، فهم يتقنونها أكثر من عربيتهم التي لا يعرفون فاعلها من مفعولها ، فما أدراك بحروف الجر والشرط !

وفوز ابنة الدكتور سامي سبل كانت نجمة من نجوم حيها وكليتها ، الحياة عندها هي وصويحباتها مجرد لهو ومتع ، فالمال في أيديهم متوفر ، وفي النهاية يحصلون على شهادة جامعية وفرص العمل مهيأة لهم ، فهؤلاء الأثرياء لا بطالة أمامهم وفقر .

ولقد ذكرت لكم أيها القراء الأعزاء آنفا !.. أنّ هؤلاء الموسرين من حسن حظهم أنّ الجامعات التي يرسلون إليها ذرياتهم تحتوي على خليط من أبناء طبقات وفئات المجتمع المختلفة ، ففيها الأغنياء والفقراء والطبقة الوسطى ، ففيها التيارات السياسية المتنافسة والمتصارعة ، فالتيارات والأحزاب تتنازع وتقاتل من أجل الوصول إلى مقاعد البرلمان والحكومات ، وهذا الصراع صداه موجود بين طلاب الجامعات ، فتجد في القطر دعاة لأحزاب وطنية ، وآخرين لأحزاب ماركسية وقومية، وهناك دعاة التغريب والعلمانية الغربية، وكذلك الأحزاب الدينية وما يسمى الجماعات الإسلامية المتعددة الأسماء، المتنافسة مع بعضها أولا ، وثانيا مع الأحزاب الأخرى، باختصار نقول " خليط من الأفكار المتناقضة " ،.. هذا هو جو وبيئة الجامعات في بلاد المسلمين في هذا القرن ، أعود بكم إلى بطلة القصة فوز الطالبة في كلية التجارة ، فلفوز هذه صديقة وزميلة في الفصل اسمها أسماء ، وأسماء هذه لم تكن إلا فتاة ذكية ونشيطة في قسمها وكليتها ، ومثار اهتمام المدرسين والمحاضرين لذكائها وجديتها في الدراسة ، ومهارتها ومشاركتها في نشاطات الكلية المختلفة ، فهي فتاة ظاهرة بارزة في الفصل والكلية،

فهذا ما دفع فوز للاحتكاك بها ومصاحبتها ، بل ساعدتها فوز بالتدرب في مصرف والدها على أعمال السكرتارية والإدارة ، وأحيانا نادرة سمحت لها بزيارتها في البيت ومشاركتها في حفلات عيد ميلادها وغيرها من الحفلات .

وأسماء لم تكن من أبناء الطبقة الغنية والمسيطرة على ثروة القطر والبلد ، فأبوها بقال متوسط الحال ، يقطن في حي متواضع ، وقد لا يكون له سلطة قوية على أسرته في مثل هذا الزمن ، لذلك كانت أسماء فتاة متحررة في مقياس أهل هذا الزمان ، فهي غير ملتزمة باللباس الإسلامي للفتاة المؤمنة حق الأيمان ، ولكنها محافظة في أخلاقها العامة ، ولم تفسح المجال للعلاقات العاطفية العابرة في حياتها كما يفعل كثير من طلبة الجامعات اليوم باسم الحرية ، فزملاؤها الذكور مجرد أصدقاء دراسة ليس إلاّ ، قليلة الاختلاط بهم ومشاركتهم مجالسهم ، وقد تكون ثقافتها الدينية أحسن حالا من فوز ،.. فلقد كانت صداقة بين الطالبتين ؛ وإن لم تكن تلك الصداقة والعلاقة الحميمة بينهما ، فهناك مجاملات وملاطفات ، ففوز تستعين بدفاتر وكراسات أسماء التي تكتب عليها المحاضرات بسبب تغيبها المتكرر أو خروجها عن الاستماع لسبب ما ، ولم تكن أسماء تبخل عليها بجهدها ، لعلها تطمع أن تتوظف في مصرف والد فوز في يوم ما ، فكان في خلدها " أنّ صداقة فتاة مثل فوز لا يفرط فيها ، ولا تخلو من مصلحة " وكانت أسماء تطلع فوزا على أخبار ونشاطات الطلاب والجولات والرحلات وأمور أخرى ، وهذه صورة عن صداقة الفتاتين .



لقاء مهم

وتبدأ حكاية فوز مع الهداية والتوبة من الجامعة ، ذات نهار جامعي كانت فوز وأسماء تتحدثان تحت ظل شجرة فارهة في ساحة من ساحات الجامعة ، فوز جالسة على مقدمة سيارتها ، وأسماء أمامها تتحدث معها عن الدراسة والنشاطات في الكلية ، وبينما هما مندمجتان في الحديث ، الأولى جالسة والأخرى واقفة أقبلت نحوهما فتاة ترتدي جلبابا شرعيا فضفاضا مخفيا لجسدها كله الرأس والوجه والبدن ، وألقت عليهنّ السلام والتحية ، وصافحت أسماء بحرارة ومودة ، وأرادت أن تصافح فوزا ، فأشاحت فوز بوجهها عنها كأنها تنظر لشيء بعيد ولم تر اليد الممدودة إليها أو تظاهرت بأنها لم ترها ، بل أظهرت نـفورها منها بحركات سريعة وتقطيبة جبين ، ولكنّ الفتاة المحجبة لم تكترث للأمر ، وخاطبت أسماء قائلة: كيف حالك؟ ما أخبار الوالدين الطيبين؟

فردت أسماء بعجلة ومن غير ابتسام ؛ كأنها أدركت نـفور فوز من الوقوف مع هذه الفتاة الملتزمة ، فأرادت صرف الفتاة بسرعة فقالت : لا بأس ، لا أخبار جديدة إن الدراسة تمام ، والأسرة بخير ، والحمد لله ، وأنت ما أخبارك ؟

ردت الفتاة المحجبة : الحمد لله ، يا عزيزتي! والليلة سنقوم بزيارتكم، فأخي هلال سوف يطلب يد أختك العزيزة سماء ، وقد وافق والداك على زواجهما.

فقالت أسماء : أعرف ذلك يا هند ، مبارك لنا جميعا .

فقالت هند ، وقد أدركت أن أسماء قلقة لا ترغب في إطالة الحديث ، وهي تنظر لصاحبتها الكاسية العارية بطرف عينيها ؛ وكأنها تأسف لإطالة المقابلة : من صاحبتك هذه يا أسماء ؟؟ فنظرت أسماء لفوز ، ونظرت فوز في عيني أسماء ، وسكتت أسماء كأنها تنتظر الأذن من فوز لتجيب ، فردت فوز مخاطبة لهند راغبة بالتسلية بهذه الفتاة التي تريد التعرف عليها فقالت ونبرة ساخرة مستهزئة في صوتها : ما هذا اللباس يا هند ؟! لماذا تلبسون هذا اللباس المرعب؟! لماذا تخفين نفسك تحت هذه الثياب السوداء ؟ ألعلك قبيحة ؟ إنها ثياب مخيفة ومنفرة وموحشة !

ورسمت فوز انقباضا وضيقا على وجهها ، لم تجب هند سريعا ، فتكلمت أسماء قبل أن تجيب هند ، بعد أن سمعت فوزا تفتح الحوار مع هند ، فتشجعت للكلام فقالت كأنها تريد الجواب على استفهام هند : إنـها يا فوز ! طالبة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وهي طالبة مجتهدة ، وتحلم بأن تصبح بحرا كبيرا في علوم الشريعة .

ورسمت على وجهها ضحكة قصيرة ؛ وكأنها معجبة بالوصف الذي أطلقته على قريبتها هند ومداعبة للموقف المتوتر المشدود ، وجارتها فوز بالضحك كأنهنّ أحدثن طرفة ، وقالت فوز : وهل للشريعة علوم وبحار يا أسماء ؟!

ظلت هند ملتزمة بالصمت والتفكير ، وأخذت تتابع الحوار الساخر الدائر بين الفتاتين، فأجابت أسماء على سؤال فوز قائلة: أخشى أن أوجع رأسك يا صديقتي! .. فالشريعة لها علوم كثيرة لا أرى أنـه يهمك سماعها.

فقالت فوز ضاحكة : أنا لا أدري ما هي الشريعة أصلا ؟!

وأتبعت كلامها ضحكة هازئة ساخرة ، فجارتها أسماء في الضحك أيضا، وقالت كأنها موضحة لزميلتها ما التبس عليها : كلية تعليم الدين ، الصلاة والصوم والزكاة ..لابدّ أنك تعرفين ذلك ؟!

فردت فوز ساخرة : آه!.. لقد سمعت بهذه الألفاظ في بعض دروس الثانوية العامة .

والتفت إلى هند وقالت : يا آنسة هند ! لماذا لم تردي على سؤالي ؟ أود أن أعرف لماذا تلبس بعض الفتيات هذه الثياب القاتمة والمخيفة التي تثير في النفس مشاعر مؤلمة؟!

فقالت هند بقوة وفطنة وبكل هدوء : ولماذا أنت تلبسين هذه الثياب الفاضحة يا آنستي العزيزة

فقالت فوز وهي تبتسم : نعم ، سؤال بسؤال ، هذه ثياب القرن .. الموضة ..الحداثة .. ثياب العصر.. ثياب الحرية والراحة.

فقالت هند وهي تبتسم: وهذه ـ وأشارت بيدها المخفاة بالقفاز نحو جلبابها ـ ثياب الإسلام ثياب أمر الله بلبسها .. أتعرفين الله؟!

فصاحت فوز منزعجة ومرتبكة : الله!.. ويلك أنا لا أعرف الله!.. وهل ترين أنني ملحدة ؟!

هند : رائع ! .. جواب جميل ! .. إذن أنت تعرفين الله سبحانه .. فالله هو الذي أمرني بارتداء هذه الثياب الموحشة والمخيفة والمقززة .. ثياب الفضيلة والحشمة والعفاف والشرف والعزة .. فأنا أطيع الله في لبس هذه الملابس ، وأنت تطيعين الموضة والعصر.

فردت فوز وقد احمر وجهها من الغضب والضيق : لا.. لا .. يا هند! .. هذه ثياب أجبرك والدك أو إخوتك على ارتدائها ، فلا بد أنهم أناس متزمتون متعصبون يعيشون بعقلية القرون الوسطى ، فلولا ذلك ما لبست هذه الثياب يا آنسة هند .

فقالت هند بهدوء : لا .. يا آنسة! ..ها هي أسماء رفيقتك هذه ابنة خالي لا تلبس مثلي ، مع أن والدها العزيز يصلي ويقوم بشعائر الإسلام الظاهرة ، وكذلك أختها سماء وبعض إخوتها يحافظون على تقاليد الإسلام الظاهرة ، وها هي يا آنسة ! لا ترتدي الزي الإسلامي .. قد يكون لتربية والديّ وأهلي أثر كبير على التزامي بالجلباب واللباس الرباني ؛ ولكن مجتمع كالذي نحيا فيه اليوم يدعو إلى التحرر والانفلات من ربقة الدين والتدين ، فلا أرى فيه سلطة قوية للوالدين كالزمان الماضي ، تجبر فيه الفتاة على اللباس الشرعي ، فذلك السلطان ذهب وضعف هذه الأيام يا آنسة فوز ! فلولا اقتناعي بها أفعل ما أطعت والديّ ، ولوجدت مائة طريقة وحجة للتخلص منه .

قالت فوز بحيرة وارتباك : أمعقول ما أسمع ؟! فتاة تلبس هذه الثياب بملء حريتها واختيارها في عصر تحرر المرأة .

فقالت هند وفي نبرتها تهكم وتعجب : تحرر المرأة .. من ماذا ؟! من اللباس الشرعي .. التحرر من طاعة الله .. فهل التحرر فقط يكون في التعري والتبرج؟! .. نحن نريد أن نتحرر من العبودية والتقليد للغرب .

حينئذ هدأت فوز أمام الكلمات الدافئة التي سمعتها من هند بحرارة وغيرة .

فقالت باستسلام غريب وربما لحظة صدق : أتعلمين يا آنسة هند أنك تثيرين اهتمامي ؟!..

وهل أسماء ابنة خالك ؟.

ردت أسماء بعد صمتها الطويل ، وانبهار مما سمعت من هند ، وجرأتها في الدفاع عن مبادئها : نعم .. هند ابنة عمتي ، وهي طالبة ملتزمة بالإسلام قولا وعملا وسلوكا ، ومن أنشط فتيات كليتها .

كانت فوز أثناء حوارها الحاد مع هند قد نزلت عن مقدمة السيارة ، وقالت بعد صمت أسماء : أتسمحين لي بمصافحتك يا آنسة هند؟

فردت هند بابتسامة خفيفة : أردت فعل ذلك عندما سلمت عليكنّ ؛ ولكنك تظاهرت بعدم رؤية يدي الممدودة إليك .

اعتذرت فوز اعتذارا كبيرا لهند ، ثم همست بصوت حالم : معذرة أيتها الفتاة الطيبة! إنني تعودت أن أنفر وأشمئز من هذه الأزياء الرهيبة على النفس ، بل أصاب بضيق منها ، وممن يلبسنها ، وأتعجب من كل امرأة ، أو فتاة تعيش في القرن العشرين وفي آخره بالذات ، وترضى أن ترتدي مثل هذا الزي وتلبسه ، فيخيل إليّ أننا ما زلنا نعيش في عصور الرومان السحيقة ، أو العصور الحجرية الموغلة في القدم ..عندما كانت المرأة منبوذة مجرد متاع وسلعة .. ثم صمتت قليلا وعادت تقول : لا أدري لماذا أنفر من الدين ؟!

فقالت هند : يبدو لي أنك ضحية من ضحايا المجتمع والأسرة .

فأجابت فوز بدهشة ، وقد نفرت من كلمة " ضحية " : ضحية !! أنا ضحية من ضحايا المجتمع والأسرة ، بل أرى أنك أنت الضحية ، ضحية لتعصب والدك وأسرتك.. فلماذا لا تتمتعين بحياتك وشبابك ؟! ولماذا تغمرين نفسك بهذه التقاليد العتيقة ؟!

فأجابتها هند أيضا بهدوء وروية : أنت معك سيارة ، وأموال وغنية ، فيمكنك أن تتحصلي على متع الدنيا وملذاتها.. فالفتاة الفقيرة .. وما أكثر الفقيرات! كيف يمكنها أن تتمتع بملذات الدنيا ؟! هل تبيع نفسها وجسدها وروحها لترى الدنيا ومتعها ؟! وماذا تستفيد عندما تهبط عليها أمراض المتع والدنيا ؟ وقد هجرها العشاق وأصحاب المال.. وهل الدنيا فقط لباس

ورحلات وسيارات وخواتم ذهب وعقيق وحفلات وثياب حرير ، وأكل من طبق ذهبي ومن أفخر المأكولات ، وشرب شراب فاتك بالعقل والجسد والروح ؟! وهل هذه هي الحياة يا فوز؟! تمتع الجسد والتذ .. الروح والعقل أين ملذتهما ؟ والموت ..وماذا بعد الموت ؟؟

قالت فوز: الله!! أنا لا أفكر بطريقتك .. ولا أفكر بالعواقب .. ولا أفكر بالآخرين ..أنا أفكر كيف أضيع الأيام ؟ كيف تمضي أوقاتي ؟ كيف أضحك ؟ كيف أمرح ؟ كيف أسهر ؟.. على كل يا آنسة هند ! طال بنا الحديث ، وعلى كل حال سأسمح لنفسي يا آنسة ! بالالتقاء بك مرة أخرى .. فأنا والله أول مرة أصغى لفتاة تلبس مثل هذه الثياب القاتمة ، فأنا لم أختلط في حياتي بفتيات يفكرن بطريقتك .. فالحق أنك أثرت اهتمامي بفطنتك وسرعة كلامك ، فبما أن الأخت أسماء قريبة لك فسترتب لنا لقاء ..أليس كذلك يا أسماء ؟.. ليس خطأ أن يسمع الإنسان كلاما طيبا من مثل الآنسة هند .. فنحن نقرأ عن الفنانين بل عن المجرمين من لصوص ومحتالين .. فلنقرأ عن الإسلام .

فقالت هند بحماس ظاهر : أرجو أن أراك يا فوز ! وألتـقي بك ثانية ، فعندك بذرة خير وفطرة سليمة في داخلك ، وشعرت من مجمل كلامك بأن في حياتك ملل وغم .

فقالت فوز : ألا تصافحيني الآن يا هند ؟!

فقالت هند وهي تمد يدها نحو فوز مصافحة لها : أنا آسفة فهذه يدي .

وتصافحت اليدان والقلبان وقالت فوز : سيكون لقاؤنا قريبا يا هند!.. فلي صديقة مريضة تعاني من مرض السرطان ، وهي عزيزة على قلبي ، وتمضي المسكينة أكثر أيامها على آسرة المستشفيات.. فقد أثر مرضها عليّ ، فأفكر أحيانا بها بعد الموت ..

ثم التفتت لأسماء قائلة : إنها جميلة ، زميلتنا يا أسماء ! فكثيرا ما تكون معي ، فهي منذ شهور أخذت تعاني من مرض السرطان ، لقد ضربها هذا المرض في جهازها التنفسي ؛ لذلك بدأت تغيب عن المحاضرات والجامعة ، وكان الله في عونها .

قالت هند : أحسنت يا فوز ! كان الله في عونها ، لا بأس أن يعلم المسلم أنّ الله هو المعين الحقيقي

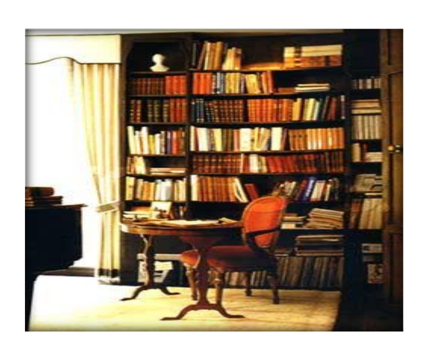
عند المرض والبلاء .. شكرا لكم ، والسلام عليكم ، أراك مساءً يا أسماء ! إن شاء الله
وابتعدت هند ، فقالت فوز معلقة ومبهورة : إنها فتاة مدهشة ! عندها ثقة كبيرة بنفسها .. هل يعقل أن تلبس هذه الملابس عن قناعة وحب ؟!

فردت أسماء قائلة : الحق يا فوز ! أنها من أسرة متدينة .. فأخوها مهدي من الشباب الذين يثيرون القلاقل في الجامعة في كل مناسبة وندوة ، وهم الذين يطالبون الحاكم والحكومة بتحكيم الشريعة الإسلامية وأسلمة الدولة والإدارة ، فهند أخت لذلك الشاب النشط في جماعات التيار الإسلامي ، وهو يثير المتاعب للإدارة والأمن ، واعتقل مرات ومرات ، وهو من الشباب الذين يطالبون ويدعون بالعودة للإسلام حاكما ومهيمنا على الأمة والمجتمع كله ، فهند أخت ذلك الشاب ، وأسرتها من الأسر المحافظة جداً جداً .

فقالت فوز وهي شاردة الذهن : والله يا أسماء ! ما أتعبت فكري ونفسي يوما لأفكر بالإسلام الذي هو ديني ..الحق أيتها الصديقة ! أن حياتي وحياة الكثير غيري هي الأكل والشرب ، والسهر والحفلات والمجون ، والرحلات إلى أوروبا وأمريكا ، وارتداء أغلى الملابس ، وحمل أثمن الحقائب ، وتبديل السيارة كل عام بأحدث موديل ، وحتى موت إنسان في الحي أو قريب لنا يمر في حياتنا من غير اكتراث ، فالعزاء في حينا ومجتمعنا نراه فرصة للاجتماع والثرثرة والدخان ، وحتى المقرئ أو قارئ القرآن الذي يحضرونه في حفلات العزاء ـ دعيني اسميها حفلات العزاء ـ يضعونه الشيخ المعمم في إحدى زوايا البيت أو صالة العزاء ، ويأخذ بقراءة القرآن ، والجالسون لا يكترثون بما يقرأ ، فهم مشغولون بالقيل والقال ، وفي آخر السهرة يعطى قليلا من المال بالنسبة لنا ، ثم ينصرف ، فالموت يعبر سريعا من حياتنا ولا نتعظ منه .. لقد شدتني ابنة عمتك ، فكرت قليلا ، لماذا هذه الصبية تغمر نفسها بهذه الملابس السميكة الواسعة كأننا في شهر الثلج ؟ فأردت عندما رأيتها وهي تتحدث معك أن أتسلى بها وأهزؤ منها ؛ فإذا هي التي أثارت شهوتي للتعرف عليها أكثر ، هل هي جميلة يا أسماء ؟!

فقالت أسماء : إن كنت تقصدين بالجمال بياض البشرة فهي بيضاء البشرة يا صديقتي ! وليست

بشعة لتخفي قبحها تحت نقابـها ؛ إنها تلبس هذه الثياب عن قناعة وطاعة ، وليس عن عادات وتقاليد فحسب ..إنها هند ابنة عمتي وأعرفها جيدا يا صديقتي !



التوبة

هكذا كانت البداية لقاءً عابرا مع فتاة ترى أنها تمثل الفتاة المسلمة الملتزمة بأمر الله ونهيه .. فتاة كلها إيمان ونور، ترك لقاؤها العابر الدافئ أثره الكبير على هذه الفتاة ـ فوز ـ المتحررة المتبرجة المقلدة للمرأة الغربية الضائعة .

فوز ـ ومثلها كثير ـ تعاني من الفراغ الديني الذي يشبع الجانب الروحي من كونها إنسانا مركبا من روح وجسد ، وهي تعاني كذلك من الجهل الكبير في دينها وتعاليم إسلامها .

وتربيتها الغربية ، وتقليد والديها الأعمى للغرب ، حرفا فطرتها السليمة للتعلق بالكافر في علومه وعاداته وثقافته ، وفوز عندما أشارت بأن هدفها في الحياة قتل الوقت بأي طريق لم تجانب الصواب ، مال كثير ، بيت واسع يشبه بيوت الغرب ، عمل متيسر ، جنسية أمريكية متوفرة لأنها من مواليد تلك البلاد ، زوج لن يعجز والدها عن توفيره ، فأيامها مسارح ، مهرجانات ، غناء ، تمثيل ، رقص ، لهو .. عندما قالت لهند ذلك فهي صادقة أيضا ، فهي ترافق أمها غالبا إلى أقطار شتى ، من أجل مشاهدة معرض أو فيلم حديث أو عرض أزياء ؛ لتقول الأم أو البنت أمام الأصدقاء متفاخرة ومتباهية بأنها حضرت العرض الأول للمسرحية أو الفيلم أو معرض الفنان الفلاني ، ولكن لقاؤها العابر بهند ، مع مرض صديقة أحبتها "الحميمة جميلة" ، وما هي فيه من العذاب الغامض ، تحركت نوازع الخير والفطرة في نفسها وروحها ، لذلك لم يكد يمضي يومان على لقائها الخالد بهند حتى طلبت من زميلتها في الكلية والفصل أسماء أن تجمعها بهند مرة أخرى ، وترتب لها معها لقاء جديدا ، مما أدهش أسماء لهذه العجلة ، فربما وقع في نفس أسماء في المرة الماضية أن فوزا عرضت على هند تجديد اللقاء لتصرف هندا بلباقة وأدب وحسن مجاملة ، فقالت معلقة باستغراب ظاهر : بهذه السرعة ترغبين اللقاء بها ؟!

فقالت فوز محاولة التفسير لهذا الطلب : يحق لك أن تسألي هذا السؤال .. هند ابنة عمتك .. لقد سحرتني بقوة جنانها ، وحسن مدحها لديننا ، رغم الحدة التي أبدتها نحوي في بعض الجمل في ذلك اللقاء المبهر .. فأنا أريد أن أجالسها لأنني عطشى للأيمان يا أسماء ! يا أسماء !

إنني أعيش في ظلام وحيرة ، مع توفر كل وسائل الحياة والرفاهية بين يدي ، وأنت تعرفين كل ذلك .. أريد أن أعرف هذا الإسلام الذي هو ديننا ، ودين أبي وأمي .. أريد أن أعرف هذا الدين الذي يدفع فتاة جميلة مثل هند لتخفي حسنها وفتنتها عن أعين الناظرين ، وتدافع عن ذلك بقوة .. أريد أن أعرف لماذا نهرب عنه ومنه؟! .. لماذا نحب الغرب ومحاكاة الغرب لماذا؟! صدقيني يا عزيزتي ! لقد صدف مرة ونحن في جوف أمريكا العظمى أن كنا في حفل كبير لأبناء الجاليات العربية والإسلامية ـ بمناسبة دينية على ما أذكر ـ وأثناء الحفل تعرفت على فتاة أمريكية من أصل أمريكي ، كانت بجواري وكانت تلبس مثل هند ، ظننتها للوهلة الأولى مسلمة من بلاد المسلمين والعرب ؛ فإذا هي أمريكية الجنس ، وتحدثنا قليلا ، فلما علمت أنني مسلمة بالولادة صعقت لمشاهدتي بهذه الثياب التي على آخر طراز ، وأنا بالطبع لم أكترث لدهشتها ، بل أنا التي استغربت منها يوم ذاك ، وهمست لنفسي "أمريكية تلبس ملابس المتعصبات من المسلمين" ، وسكتت فوز كأنها تستذكر لقاءها مع الأمريكية المهتدية .

ثم قالت أسماء بعد لحظات خيم فيها عليهنّ الصمت : متى تريدين أن يكون الموعد واللقاء؟

قالت فوز وهي تتنهد بعمق : أتمنى أن يكون هذا مساء هذا اليوم ، هناك حفلة ستذهب إليها الأسرة ، واعتذرت عنها ، ومنذ فارقتنا هند وأنا أعيش معها .. فتنت بها يا أسماء ! طيفها معي منذ ذلك النهار .. لا أدري لماذا ؟!! سحرت بها ! .. وأود أن يكون اللقاء في منزل هند ، نعم ، أريد أن أراها بين أحضان أسرتها يا أسماء!

فقالت أسماء وهي متعجبة لكلمات فوز ومن إعجابها بابنة عمتها : ألا تخشين وتهابين اللقاء بها ؟! ..أخشى أن تخلعي هذه الملابس الجميلة يا فوز !

قالت فوز وربما فاجأت أسماء بردها : يا ليت ذلك يحدث ! لا تظني يا عزيزتي! أننا نحيا بسعادة السعادة ليست في المال وحده صدقيني .. المحروم من متعة المال يحلم بما حققناه من لهو ومتع ؛ فإني من أعماقي أتمنى أن أتغير .. مللت النادي .. مللت السفر .. مللت الأصدقاء مللت نفسي فقالت أسماء وما زال تعجبها يزداد من فوز : ولكنك ما زلت صغيرة يا عزيزتي .. ما عشرون

سنة في الحياة ؟!

فقالت فوز وهي تحلق بالأفق البعيد : التعب النفسي والقلق غير محكوم بسن .. اتصلي بي إذا وافقت هند ، وسوف أمر عليك لنذهب سوية ، وأرجو أن لا يكون في ذلك إحراج لك ولها.

فقالت أسماء : اعلمي أنّ هندا سوف تسر وتفرح بلقائك ، فبيتها مدرسة ، صديقة داخلة وأخرى خارجة .



واستقبلت هند الفتاتين بابتسامة بيضاء صافية ، وأبدت سرورها وسعادتها من اللقاء ، ورحبت بهن ترحيبا حارا ، واعتبرته مفاجأة سارة وبشرى خير ، فلما جلسن في غرفة هند قالت فوز بإعجاب واضح : ما أجملك يا هند! فكل هذا الحسن تخفيه تحت أسمالك العجيبة، كنت أظن أن هؤلاء الفتيات المحجبات يتحجبن ليخفين دمامتهن ، أو لأنهن لا يملكن الثياب الغالية ، ولا يستطعن مجاراة الموضة المتسارعة .. كم كنت مخطئة !

فقالت هند باسمة : مالك تكثرين الحديث عن الجلباب يا فوز؟!.. فالإسلام ليس الثوب فقط فالإسلام إيمان وتوحيد وعمل وخلق وسلوك أهلا أسماء ومرحبا ..أهلا بفوز ما أخباركنّ ؟؟

فأظهرن حمد الله عز وجل ، وتحدثن عن الدراسة قليلا ، ثم قالت هند لفوز : لا تعلمين كم سررت عندما أنبأتني الأخت أسماء عن رغبتك بزيارتي ولقائي! وبصراحة أقول وتقبلي ذلك مني .. فقد تأكد لي أنك ضحية الأسرة والمجتمع اللذين تعيشين فيهما .

فقالت فوز وابتسامة صغيرة ارتسمت على محياها الجميل ، ولم تتضايق من كلام هند بأنها ضحية للمجتمع والأسرة كما حدث لما سمعت هذه الكلمة في اللقاء السابق : وأنا مسرورة بك وبصحبتك وسماعك ، لقد أثرت بي كلماتك في ذلك اللقاء العابر والغريب ..

وقالت والجد ظاهر عليها : هند! أريد أن أعرف الإسلام الحقيقي ..أنا لا أعرف شيئا عن إسلامي ، نحن لا نعرف عنه إلا ما نسمعه من الغرب ومن المقلدين للغرب ..حدثيني عن التوبة .

قالت هند متأثرة بعواطف فوز ورغبتها بالتوبة : رائع يا فوز! سأحدثك عن التوبة ـ إن شاء الله ـ ولكن بما أنك خبرت الحياة منذ صغرك ونعومة أظفارك كما يقال ، ورأيت اللهو والنزهات والسهرات ، فاصدقيني القول هل أنت سعيدة في دنياك ؟!

فقالت أسماء مجيبة : وماذا ينقصها يا هند؟! ..القصر موجود ..والسيارة موجودة .. والمال وفير والرحلات متيسرة .. والوظيفة المناسبة جاهزة .. وزوج ثري منتظر .. أليست هذه الأشياء تحقق السعادة للمرء يا هند؟!

فلما لم تجب هند على اعتراض أسماء ، وما زالت تحدق النظر في فوز تنتظر منها الجواب ، فأجابت فوز وابتسامة خفيفة قد رسمت على وجهها الجاد : صحيح نحن أبناء الأغنياء جدا متوفرة لدينا هذه الأشياء التي تفوهت بها العزيزة أسماء ؛ ولكن حياتنا مادية لا غير ، وكما قلت لك يا أسماء! سابقا .. حياتنا لا معنى لها .. مجرد حياة .. ليس هناك أهداف نبيلة نسعى لتحقيقها .. من أهدافنا إمضاء الأوقات في الملاهي في المسرح واللهو ، وشرب الشراب المسكر للهرب من هموم الدنيا .. نفتعل المشاكل ، ونكبر الأشياء الصغيرة حتى نثير الاهتمام ، وننشط عقولنا الملبدة بغيوم سوداء .. نتخاصم على أتفه الأشياء .. لا نحس بمتعة فعل الخيرات من الإحسان ليتيم أو فقير .. بل المريض من حولنا نهتم به أول مرضه ، ثم يصبح نسيا منسيا .. وقد تعشق إحدانا هواية ما ، أو لعبة ما .. ولكن أيضا هذه الهوايات أو الألعاب ليس لها هدف سامٍ نبيل ، وإنما ذلك لتضيع الحياة أو التميز على الأصدقاء .. وماذا أقول أكثر من ذلك ؟.. أين السعادة ؟!

قالت هند : رائع يا عزيزتي! .. توصيف جميل حقا .. على ذكر المرض ما أخبار صديقتك المريضة ما أخبار صحتها ؟؟

قالت فوز ونبرات الحزن واضحة عليها : آه جميلة ! ..هي التي أيقظتني من سباتي يا هند!.. منذ

جئنا من بوسطن ، وتعرفت عليها ونحن نلهو معا.. كم لهونا معا ؟! كم رقصنا معا ؟ كم سافرنا معا ؟ وكم غنينا معا ؟ .. وها هي رغم صغر سنها قد ضربها السرطان .. أوقاتها أيام في المستشفيات ، وأيام في البيت ، بل عجزت عن الدراسة ، والطبيب يزورها يوميا ، والموت ينتظرها .. هذا ما جنته من الدخان والخمر ، والآن الجميع من حولها عاجزون عن مساعدتها بل بعض صديقاتنا مللن الحديث عنها ، ولا يرغبن بسماع أخبارها ، ويخشين ذكرها لأنها تذكرهن بالمرض والضعف ، فما نفع مال والدها ، ولا مال أخيها .. المال لا يعيد الصحة .

وبعد تبادل الفتيات الحديث الحزين حول الفتاة المريضة ، وظهر تأثر فوز الشديد بمرض صديقتها، قالت هند : هذا حقا محزن .. الإنسان لا يعلم متى تهجم عليه هذه الأمراض الصعبة حدثيها يا فوز! عن التوبة والندم .. فدموع التوبة دموع رحمة واستغفار .. فرحمة الله وسعت كل الأشياء ..واعلمي يا أختاه! أنك إذا أحببت الله حق المحبة أحبك سبحانه وتعالى .. فحب الله هو الحب الدائم والباقي أيتها الأخت الصديقة .. إنّ ديننا دين التوبة والندم .. والتوبة في ديننا العظيم لا تحتاج لواسطة أو شفيع ، عليك أن تبدئي عهدا جديدا مع الله سبحانه ، وتتأسفي على ما فرطت في جنب الله ، وتندمي على أفعال الشر التي جرت في غابر الأيام ، وتحاولي وتجتهدي ألا تقعي فيها مرة أخرى ، وتكثري من أعمال الخير، ومن الأعمال التي يحبها الله مالك السماوات والأرض ، وبالنسبة لنا نحن معشر النساء يا فوز ! من المهم للمرأة المسلمة أن تطيع الله في لباسها .. فالتائب أيتها الصديقة! عليه أن يترك المعاصي التي بينها القرآن والسنة النبوية ولا يعد ممارسا لها ، وعليه أن يندم على فعلها ، وعلى التائب أن يقوم بالواجبات المطلوبة منه ، وإن ضعف المسلم أمام الذنوب والشهوات يتوب مرة أخرى وأخرى من غير يأس ، ولا يستسلم للشيطان ، ولا يخجل من التوبة المتكررة .. ومن المهم أيتها الصديقتان العزيزتان ! أن تمتلئ أنفسنا أنّ هذا الدين هو من لدن حكيم خبير ، من الله الضار والنافع والمعز والمذل ، وليس من صنع البشر ، سأعطيك بعض الرسائل العلمية الخفيفة والقصيرة لعلماء مسلمين أجلاء معاصرين ، فيها دفع كثير من الزيف والشبهات التي يثيرها أعداؤنا وأعداء الله حول

دين الله الخالد ..المهم القراءة القراءة الواعية .. فكما تقرئين مجلات النساء والرياضة بحماس فاقرئيها أيضا بحماس .

قالت فوز باسمة وقد ازدادت حبا لهند وإعجابا بكلامها ، وقد أحست بعواطف جياشة نحوها : كم هو ممتع سماعك يا هند ؟!

ثم قالت متسألة : هل من الممكن أن أتخلص من عاداتي وأخلاقي السيئة ؟! وكيف سأواجه أبي وأمي بعد أن زرعوا فيّ حب الملابس العارية ، وحب السهرات والحفلات ، ومصاحبة الشباب والشابات ، وكذلك حب الكفار وحب الحضارة والمدنية الغربية وحب الغرب ؟؟!

أجابتها هند مشجعة وبكل ثقة : تتخلصين من كل ذلك رويدا رويدا .. فأصحاب رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) كانوا أهل جاهلية ، ولقد كانت عندهم عادات قبيحة ، من أشهرها وأد البنات ، وإدمان الخمر ؛ ولكنهم بفضل من الله ـ عز وجل ـ وإخلاص الأفئدة له وحده ، أزالوا تلك الحواجز الرهيبة ، وأصبحوا سادتنا وقدوتنا وسلفنا الصالح

تنهدت فوز بعمق وقالت : أريد أن أتوب يا هند! ساعديني يا سيدتي !

كانت أسماء تسمع كلمات هند وفوز وهي في غاية الدهشة والاستغراب للانقلاب الذي حدث لفوز من لقاءين فقط ، فوقع في روعها أنّ فوزا تمر في أزمة نفسية حادة ، وسوف تستيقظ منها بعد أيام ، وسمعت هند ترد على استغاثة فوز بحماس شديد : سأبذل قصارى جهدي لأنقذك من الظلام والضلال والجاهلية ، وسأكون لك أختا وأكثر ، وعليكِ بداية أن تتخلصي من غرورك ، وأنك ابنة رجل أعمال كبير .. مليونير أو أكثر .. تذكري أنك فتاة مسلمة ، وتحملين هذا الوصف العظيم .

همسات عن الإسلام

تجدد اللقاء بين هند وفوز ، وتعمقت الصداقة بينهما ، وما يمر يوم إلا وتزور فوز هندا ، وتسمع منها كلاما طيبا عن الإسلام ، وإن لم ترها بالعين المجردة فتحدثها بالهاتف بالساعات وهي تهمس لها " إن حديثك يا هند! له لذة في وجداني وكياني " .

وما كاد يمضي شهران من العمر حتى عرفت الفتاة الإيمان ، وصفة الاغتسال من الحيض ، فهذا الفعل لا يمارس في البيت ، ولا تعرف أحكامه الشرعية ، وتعلمت الوضوء ، ونواقض الوضوء وهذا فعل لا يمارس في البيت أيضا ، وقرأت سورا من القرآن الكريم ، وقرأت عن حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وبعض صحبه الكرام ، وكيف انتقلوا من حياة الجاهلية الأولى لحياة الإيمان؟ وعلمت حجم وعظم التضحيات التي قدموها لدينهم ، وصبرهم على أذى أهليهم وقومهم ، وتحملهم الكثير من أجل تمسكهم بالإسلام .

فكلما وصل لذهن وعقل فتاة حكايتنا معلومات جديدة عن الدين الخالد كان يصيبها الانبهار لحد عظيم لهذه المعلومات الراقية ، وتتألم غاية الألم لجهلها الكبير هي ومن حولها من الأهل والأقارب والجيران بدينهم العظيم وإسلامهم الكبير.

فتتسأل بينها وبين نفسها : " لماذا كل هذا التجهيل بالدين في بيئتهم ؟!" وقد تقضي الساعات الطوال وهي تحاول الإجابة على هذا الاستفهام .

لقد كانت تتلقن من هنا وهناك ، أنّ الإسلام يحتقر النساء ، ويستعبدهن ويجعلهن خدما وجواري للأسياد ، ويحرمهن من القراءة والكتابة وطلب العلم ، ويمنعهنّ من الخروج من بيوتهنّ ، ويضيق عليهنّ في العمل والمهن ، وتلقنت أنّ الإسلام دين القتل والسفك والسيف ، وأنّه يهدر دم الكافرين به الذين لا يتبعونه ، ويأخذ الجزية والمال من اليهود والنصارى وغيرهم لإذلالهم ، وهو يرخص للرجل بالزواج بعدد من النساء في وقت واحد لمجرد العبث والمتعة . ولكنها اليوم ترى هندا تتعلم مثلها في الجامعة ، وهي في قمة التمسك بتعاليم الإسلام ، ورأت أختها تعمل معلمة في إحدى المدارس ، ولم تمنعها تعاليم الإسلام من العمل والخروج ، وبينت

لها هند أنّ الإسلام يهدر دم الكافر المحارب للإسلام ؛ وليس المسالم والمعاهد ، وأن التعدد في الإسلام ليس لمجرد الشهوة ، إنما لحكم وحاجات مهمة ، إن لم يكن ضرورة في بعض الأحيان فهناك الفتاة المطلقة ، الأرملة ، العانس ، والعرجاء ، والقبيحة .. فمن يتزوج هؤلاء النسوة إن لم يكن هناك تعدد ؟!

وعلمت من هند أنّ من فوائد التعدد المحافظة على المجتمع المسلم من الوقوع في الفواحش ، من زنا وشذوذ وانتشار الأطفال غير الشرعيين.. وعلمت فوز أنّ الإسلام لا يحتقر النساء كما يروج المفسدون في الأرض .. بل الله هو الذي كرم بني آدم المسلم والكافر الذكر والأنثى ، وزاد الإسلام المرأة تكريما وتعظيما ، فهو يحترمها ويوجب على والديها حسن تربيتها ؛ لتكون لهما سترا من النار ، ويوجب الإنفاق عليها حتى تنتقل إلى عش الزوجية حيث المودة والرحمة ، فيتحمل الزوج النفقة عليها ، ثم الأبناء حتى مفارقة الدنيا إلى حياة البرزخ .

وعلمت فوز أنّ الحياة الزوجية في الإسلام حياة مقدسة بمعنى الكلمة ، حياة طيبة هانئة ، حياة تفاهم وود وسكينة ورحمة ، وليست مشروعا تجاريا ، ولا حياة خليلات وعشيقات وخيانة زوجية .

وبينت هند لها أنّ العقوبات والحدود التي جاء ذكرها في القرآن والسنة والتي شرعها العزيز الحكيم ؛ ليست لمجرد القسوة والتعذيب إنما هي لحماية الفرد والمجتمع المسلم من الفساد للدين والعقل والمال والنفس والنسل .

لقد تعلقت فوز بهند تعلقا عجيبا ؛ كأنها وجدت كنزا وجوهرة نادرة ، فما يهبط المساء حتى تزورها وتنهل من علمها وثقافتها الإسلامية الواسعة ، وتسمع منها ، وتسألها عما يخطر لها من أسئلة، وإن لم تتمكن من الذهاب إليها تكلمها بالهاتف، وكانت تستعير منها الكتب المفيدة ، وتقرأها إلى أن كان ذات ليلة ، وبعد حديث مشوق عن عظمة الإسلام ، وعظمة أمة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وفضلها الكبير، قالت هند لفوز : ألم يأن للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يا فوز ؟؟!

وقالت فوز وهي تمسح دموعها المتساقطة على وجنتيها تأثرا بكلام هند : بلى يا صديقتي!.. بلى يا منقذتي! أنت نور أرسلك الله لي .. لقد أحببتك يا هند ! ولكني خائفة من أهلي وممن حولي .
قالت هند مشجعة صديقتها للعمل : اخط الخطوة الأولى ، وسيكون معك الرب عز وجل .. ألم تقرئي ما واجهه الصحابة في أول الدعوة ؟.. فلن يكون أهلك مثل صناديد قريش الكفرة ، فأهلك أولا وأخرا مسلمون .. فلقد أخبرتني الخياطة أنّ الجلباب الذي فصلته لـك قد جهز ، وهو هديتي المتواضعة لك أيتها الأخت الفاضلة !

فقالت فوز وهي شاردة اللب وتتصور موقف أهلها من توبتها وصلاتها وجلبابها : هل يقبل أبي وأمي أن ينهار ما غرسوه فيّ من بعد عن الدين ؟! وهل يتقبلون أن امتنع عن مصافحة الأصدقاء ، وعدم الجلوس معهم ؟! إنهم ينظرون إليّ طيلة الأيام الفائتة باستغراب ، ويعلقون عليّ التعليقات الساخرة ، وهم يعتقدون أنّ مرض صديقتي جميلة أثر عليّ ، وعلى أعصابي ، وغير أفكاري وأحلامي .

فقالت هند مقاطعة لفوز كأنها التقطت فكرة من كلامها : فوز! اجعلي من مرض صديقتك فرصة للتغيير والبداية ، هذه فرصة من عند الله ، استغلي هذه الفرصة وهذا الظرف وأعلني توبتك .. فهم سيعتقدون أنّ مرض صاحبتك هو الذي غيرك ، وأنـها ساعة عابرة ، ولسوف يغضون الطرف عن تصرفاتك الجديدة .. وأنت تكونين قد اجتزت الحواجز والخوف الجاثم عليك من التقاليد والعادات التي غرست فيك .. هي فرصة جيدة للبداية ، لا داعي للتردد .. مَن يكن مع الله يكن الله معه .. عندما تقطعين مع التوبة أياما ، ستتجمع فيك الشجاعة ، ويذهب الخوف الذي يضخمه الشيطان في نفسك .

ردت فوز بعد صمت عميق وتأمل بفكرة هند : فعلا يا هند! إنـها فكرة رائعة، وفرصة عليّ الاستفادة منها ، عندما آخذ منك غدا الجلباب الذي سأعتز به لأنه منك ، سأبدأ بالصلاة بإذن الله العلي العظيم .. اللهم قوي عزيمتي واشدد أزري.

ثم قالت بذهول وتعجب : عجيب أمري يا هند! كم كنت جريئة على المعاصي والسباحة أمام

الفتيان دون حياء وخجل ؟! أما الصلاة فكلي خوف وتوتر وقلق ؛ كأني مقدمة على معركة .. يا الله! لقد كنت مجرمة وأنا لا أشعر يا أختي الغالي!

قالت هند : هوني عليك .. هي معركة فعلا يا فوز! وليست معركة سهلة ، ولا تنظري للوراء إلا للعظة والاعتبار .

لقد اجتازت فوز الخطوات الأولى ، فلبست الجلباب الشرعي للمرأة المسلمة ، وصارت تصلي ومرت الأيام الأولى في الفيلا ، ولم يجرؤ أحد أن يسألها عن عملها الجديد ، فلقد يسر الله لها الأمر كما تحب وتشتهي ، ووقعت الهيبة والرهبة في قلوبهم من مناقشتها والحديث معها في هذا التغير الجديد ، وكانوا يتوهمون أن هذا الانقلاب ، وهذا التغير حدث بسبب مرض صديقتها الخطير وخوف ورعب الفتاة من المرض ، فتركوها على راحتها ، وهي في نفس الوقت لا تمارس عملا محرما لتلام عليه ؛ ولكنه عمل غير معهود في البيت منذ أكثر من أربعين سنة ، الأب سامي لا يعرف الصلاة ، وكذلك الأم ، وهو عمل يجفلون منه ، ولم يفكروا بممارسته يوما ما ، ربما يرونه من علامات التخلف والعادات البالية ، وسرت فوز لنجاحها الأولي ، وعدم معارضة والديها لخطواتها الجريئة .

فتاة في أول العقد الثالث من العمر ، متحررة لآخر درجة تخرج على تقاليد الأسرة على حين غفلة منها ، وتعود للعصور القديمة عصر الصحابة والتابعين والجيل الأول من المسلمين ، وتتخلى عن عصر الحضارة والمدنية التي تغمر الكوكب ، هذا أمر مهم وخطير ومزعج لهم ، فبدأت بنات العائلات ـ أصدقاء العائلة ـ ينفضضن من حولها ، ولم يعدن يفرحن بأحاديثها والجلوس معها ، وما عدت ترى فوزا في البيت إلا وهي تقرأ أو تسمع أشرطة كاسيت إسلامية وأعادت ترتيب حجرتها بما يتناسب مع هدايتها ، فمزقت عن جدرانها صور الفنانين والراقصين ، وتخلصت من أدوات الموسيقى ، ومن أدوات الزينة المختلفة ، وهي تقرأ بشغف وعشق كل ما تختاره لها هند ؛ لتعرف الإسلام الذي كانت تحاربه وتعاديه من غير أن تشعر وتدرك أنها كانت تقف مع أعداء الإسلام في خندق واحد للتربص بالإسلام الصابر العظيم .



ولقد تمنت فوز بعد أن قطعت شوطا مقبولا مع الهداية والتوبة أن تلتقي بتلك الفتاة الأمريكية المهتدية ، للتحدث إليها بفخر واعتزاز ، وتخبرها بأنها عادت وآبت لإسلامها، وندمت على سنوات الجهل والغي والسير وراء التيار الفاسد التائه.

أصبحت فوز بين عشية وضحاها حديث الجامعة ، وكليتها خاصة ، وعلاقتها الحميمة بأسماء وغيرها قد بردت وخفتت ، وكانت أوقات فراغها من محاضرات كليتها تمكثها عند هند في كلية الشريعة والعلوم الإسلامية ، وتعرفت على صديقات هند ، وسررن لتوبتها ، ودعون لها بالثبات على التوبة والفوز عند هبوب العواصف القادمة .

ومن الذين فرحوا جدا لانتصار فوز على واقعها الفاسد صديقتها المريضة جميلة ، وأعلنت هي الأخرى توبتها وندمها، واستسلمت لقضاء ربها بنفس مطمئنة ، وسألت الله حسن الختام وأن يقبلها ويجعلها من عباده الصالحين .

ولقد قامت هند وبعض أخواتها المسلمات بعيادة جميلة عدة مرات ؛ ليرفعن من معنوياتها أمام هذا المرض الهائل ، ويبينّ لها ثواب وأجر الصبر على الأسقام ، وأنّ مرض المسلم الصادق كفارة لذنوبه وخطاياه ، وماتت جميلة وهي سعيدة بما أكرمها الله به في أواخر أيامها من التوبة والهداية وبكتها الصديقات الملتزمات ، وأكثرهن بكاءً وحزنا عليها كانت فوز ، ورجون الله أن يتجاوز عن ذنوبها وسيئاتها ، ويتغمدها برحمته الواسعة .

وموت جميلة المتوقع لاستفحال المرض ، والمرض ذاته ليس سببا للموت كما هو معلوم ، فالموت سببه انتهاء الأجل ، وكذلك لعجز الأطباء عن فعل أي شيء أمام أمر الله تعالى وقدره كل هذا زاد من تدين فوز ، وصغرت ملذات الدنيا أمام ناظريها ، فكانت تدخل عليها أمها فتجدها تذرف دموع الندم والتوبة ، فتتأملها لحظات ، وتخرج لا تتكلم معها كلمة واحدة ،

وتظن أن ّكل هذا البكاء والحزن على فقد جميلة ، وازدادت الفتاة تمسكا بتعاليم الإسلام ، وما زالت تتردد مساءً على صديقتها هند ، بل أحضرتها لبيتها بضع مرات .

ولقد كان أهل فوز يرون أن الصدمة التي أصابتها بصديقتها جميلة هي التي دفعتها لهذه الأفعال والابتعاد عن السهرات والمناسبات والحفلات المنتشرة بينهم ، وحاولت بعض صديقاتها من بنات الحي انتشالها من وهدة الحزن والأسف على وفاة جميلة ، ولكن بعد الحديث معها وسماع كلامها وحوارها أخذوا يخشونها ويهربون من الجلوس معها ؛ لكثرة حديثها عن الموت والنار والعقاب ، بل اجتهد بعضهم وأدخل عليها طبيبا نفسيا لمعالجتها .

ومضت السنة الثالثة من الدراسة في الجامعة وفوز تحيا حياة جديدة حياة جادة ، حياة الإيمان والنور الإلهي ، حياة لها أهداف سامية راقية .. أليست الجنة هدفا عظيما للمرء المؤمن ؟! وهي الغاية الأولى للمؤمن .

أمسى أهل أصدقاء فوز التائبة يحذرون بناتهم من الجلوس معها، والاستماع إلى مواعظها وحكاياتها عن الصالحين والتائبين ، ويتجنبون دعوتها لسهراتهم ومجونهم ، لقد باتت في نظرهم القاصر فيروسا يخشون أن ينتقل إليهم ، أو كابوسا يؤرق راحتهم ومتعهم ، أو وحشا كاسرا يريد أن يسمم متعهم وملذاتهم وشهواتهم وهواهم في الدنيا .

وكان الوالد سامي سبل يحاول وباستمرار كبح جماعها واندفاعها نحو التمسك بجذور الإسلام الأولى ، ثم يهرب منها أثناء المواجهة والمناقشة ، فهو خاوي العلم من ناحية الدين ، فهو يفهم في الإدارة والمال على الطريقة المادية الغربية ، أما الإسلام فهو مجهول عنده ، فتراه بعد كل حوار ومناقشة مع فتاته يكتشف أنه أمي وجاهل ، لا يعرف شيئا عن الدين ، فيترك النقاش ويدع الأمر للأيام ؛ لتعيد فوزا إلى ما كانت عليه من التمتع بالحياة ؛ كأن المسلم لا يتمتع في نظرهم بدنياه ، فيواسي نفسه هامسا " لابدّ أنّ الأيام ستنسي الفتاة موت صديقتها العزيزة " ؛ ثم بعد حين يعيد الكرة آملا في الفوز والنجاح .. ولكن فوزا أنهت سنتها الثالثة في الكلية ، وهي ما تزال تشرق نورا وإيمانا ، وتزداد حبا وتمسكا في تعاليم دينها ، فانزعج الأب كثيرا حاول

إقناعها برحلة إلى أمريكا أو أوروبا ، فرفضت العرض ، وبينت له أنها ملت من الرحلات والنزهات ، فلاح له أمل جديد بأن يزوجها لابن زميله في المصرف عمار ، فطلب من زوجته أن تعرض الفكرة على فوز ؛ ولكنّ الفتاة رفضت الحديث عن الزواج قبل إنهاء دراستها الجامعية وأن التعليم يجب أن يكون قبل الزواج ، وأضافت بأنها لن تتزوج إلا شابا مسلما ملتزما بالإسلام قولا وعملا .

ولقد كانت فوز عندما يحدث في منزل العائلة سهرة أو حفلة تهرب إلى بيت صديقتها هند ، وتتناجيان عن حلاوة الأيمان ، وزيادة الأيمان ، ومحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولقد تيقن لفوز ضعف حجج دعاة تحرير المرأة في بلاد المسلمين ، وأنهم ينفذون مشاريع الكفر لتغريب المرأة المسلمة ، وإبعادها عن دينها الحق ، بدل أن يردوها لدينها الجميل الذي يراعي الجسم والروح في الإنسان، وتبين لها أن المرأة المسلمة ليست أمة لأحد من الخلق ، إنما هي شقيقة للرجل ، وأمة لله وحده ، وليس الرجل مالكا لها كسلعة ومتاع ، ولا هو جلادها ، ووضح لها وضوح الشمس في كبد السماء أنّ هؤلاء الدعاة إنما يدعون لعري المرأة المسلمة ، وإلى الفاحشة من زنا وشذوذ ، ويدعون للخلاعة والتهتك بكل صورها، والى العلاقات المحرمة بين الجنسين ، والى الاختلاط المحرم ، والإجهاض ، فهم يشجعون العلاقات الآثمة ، ويبيحون الإجهاض ، وينشرون أدوات منع الحمل بين فتيات الجامعات والمراهقات للاستهتار بالعلاقات الشرعية ، وتسهيل الوقوع في جريمة الزنا ، فهم في واقع الحال يدعونها للتحرر من التمسك بدينها وطاعة ربها ، فالمرأة لا يمكن أن تكون رجلا ، وكذلك الرجل لا يمكن أن يكون امرأة ، فالله هو القائل { ليس الذكر كالأنثى } ، فعلمت فوز أنّه خفف عنها من فريضة الصلاة لنقص خاص بخلقها ، وذلك من باب التيسير ورفع المشقة عنها والحرج ، وذلك ليس تحقير لها وإهانة ، فهذا عذر شرعي يناسب تكوينها ، وعذر متكرر ، فرفع عنها إعادة الصلاة لتكرره ، وبما أن الصيام عبادة سنوية أمرها الله بإعادة ما فاتها من الصوم بعذر الحيض أو النفاس وذا من فضل الباري سبحانه وتعالى ، من يفهم الإسلام حق الفهم وبنزاهة تامة يفهم لماذا

جاءت بعض الفروقات بين الجنسين ؟! فأسقط الله عنها الحج إلا بمحرم ، فالمرأة في السفر تحتاج إلى رفيق وخادم وإلى من يساعدها في عبادة شاقة ، وكذلك أسقط عنها فريضة الجهاد لضعف بنيتها البدنية ولرعاية الأطفال ، وخوفا عليها من الوقوع في الأسر في حال فرار الجيش وغير ذلك من الحكم ، وأكرمها الإسلام أما وبنتا وأختا وزوجة ، وتبين لفوز أنّ تصرفات جهال المسلمين وغفلتهم ليست حجة على دين الله ، فالحجة القائمة على العباد كتاب الله وسنة الرسول .



لابدّ من الزواج

أخبر الزوج سامي نصار شادية زوجته عن موافقة ابن صديقه عمار على الزواج من كريمته فوز وبعد تشاور وتفاهم بينهما قررا التحدث معها مباشرة في الموضوع ؛ ليجري كتب عقد الزواج في أسرع وقت ممكن، ومن ثم تبدأ الاستعدادات لزواجهما ، وليكن ذلك أثناء وجود ابنتهم المهاجرة سميرة التي أرسلت لهم رسالة بأنها قادمة لمشاهدتهم بصحبة ابن خالها .

استقبلت فوز والديها بترحاب وحنان وحزن، ولما سمعت مشروعهما قالت الفتاة وهي تنظر لأمها بطرف عينيها: ألم تخبرك أمي برفضي؟! وعندما أتخرج من الجامعة نتكلم بمثل هذا الموضوع .

قالت الأم بضيق ونفرزة : أخبرته برفضك .

قال سامي بقوة وحدة، والضجر والغضب واضحان في عينيه ووجهه : الزواج لابدّ منه يا فتاتي!

قالت فوز بهدوء وأدب واحتجاج : يا أبي! ..أتريد إرغامي على هذا الزواج ؟ .. أبي! أين الحرية التي علمتموني إياها؟.. حرية الاختيار .. حرية التصرف .. حرية الرأي .. حرية الاعتقاد .. أين الحرية التي تتشدقون بها ؟!.. ألا تريد أن تنتظر وتصبر حتى أنهي دراستي وكليتي .

قطع الأب كلامها قائلا : تكملين الدراسة في بيت زوجك ، لقد اشترطت عليهم ذلك .

هزت رأسها عدة مرات رافضة الأمر، وقالت بقوة وتصميم وضغط على أعصابها : اعلم يا أبي العزيز ! أنني لا يمكن أن أعود للجهل والضلال .. أنا عرفت الصواب ، أبي !! إذا لم يعد لي مكان ومتسع في البيت أفارقه .. لا يمكن أن أعود للفسق والجهل بضغطك عليّ بهذه الفكرة .. الزواج أرفضه بشدة .

قال الأب والوجوم مرتسم على وجهه : فوز!.. حياتك هذه لا تعجبني نهائيا ..أتسمعين وتدركين ذلك ؟!.

همست كأنها تستغيث : إنها حياتي .

فتابع يقول بصوت قد ارتفع : نحن تركنا هذه الأشياء البالية منذ زمن بعيد، منذ غادرت هذا

القطر أول مرة لم أعد أشاهد هذه الطقوس والتقاليد القديمة .. نحن خلقنا للدنيا فقط قال صلاة .. قال جلباب .. قال قرآن .. لم أعد أصبر واحتمل أوضاعك وأحوالك الجديدة هذا تخلف .. تخلف.

فرفعت فوز من نبرة صوتها هي الأخرى وقالت : أبي! هل طلبت منك ألا تشرب الخمر؟!..هل قلت لك يوما ألا تجلس مع النساء؟! ولا ترقص معهنّ ولا تخلوا بهن ..؟

قال واجما وساخطا : وهل أظل أنتظر حتى تقولي لي ذلك ؟!

فقالت: دعوني وشأني، أنا لا يمكن أن أتزوج ابن صاحبك عمار .. أنا أتزوج ممن أريد وأختار وأنا لا أريد زوجا مسلما بالبطاقة الشخصية ، سوف أتزوج مسلما بمعنى الكلمة .. مسلما يعرف ربه ودينه ..لا أريد أن أعود للكفر والجاهلية.

لقد كانت تتكلم الكلام الأخير بغضب ودموع حارة تتساقط على خديها فقالت الأم: عندما ترين ابن السيد عمار تبدين رأيك ، فسند شاب مكافح ، وتقول أخته نداء : " إنه يصلي ويصوم مثلك .. ولا يشرب الخمر " وهو كما قلنا لك ابن صاحب أبيك، وأخو صديقتك نداء ، وهو شاب جامعي لا يعتمد على ثروة أبيه ، فهو يشتغل في أحد المصانع الكبرى ، ويريد أن يكون ثروته بنفسه .

كانت فوز تهز رأسها وهي تسمع كلام أمها، وتمسح في نفس الوقت دموعها، ولما سكتت الأم من ذكر محاسن سند عمار ، قالت فوز: ولكنك يا أمي نسيت شيئا واحدا من صفات الأخ سند صاحت الأم بغضب معتقدة أن فوزا تسخر من مدحها لسند: لم أنس شيئا، فهو شاب مناسب لك ولنا ، وهو يصلي حسب رغبتك.

فقال الأب الحائر : ما الذي نسيته أمك يا فوز ؟!

قالت فوز بحدة : نسيتم أن تذكروا أنه يتعاطى الهيروين .. نداء نفسها كانت تقول ذلك ، ولقد حاولت توريطي في تعاطيها ، إنه مدمن مخدرات يا والدي العزيز!

قالت الأم بوجوم ودهشة : مخدرات!!

وقال الأب مستغربا الخبر : مخدرات ..لا علم لنا بذلك !!

فقالت فوز: نعم يا أمي الحنون ! إنّ هذا العريس المختار يتعاطى المخدرات ، ويروجها أيضا، وأما الصلاة التي تظاهر بها فترة كانت لإخفاء أمره عن الفضوليين، هذا ما أعرفه عن الأخ سند .. ولولا الاضطرار ما تكلمت بذلك .

فقالت الأم ببطء : وهل يعرف أبوه بالأمر ؟!

فصاحت فوز: ولماذا لا يعرف والده؟! فنداء تعرف ، وتحاول بيعها بين الفتيات .

فقال سامي كأنه معتذر : صدقيني يا ابنتي ! أنني لا أعرف ذلك عنه .

قالت فوز بحدة وهي تنظر في وجه أبيها : وماذا تعرفون أنتم ؟! ..أنتم لا تفكرون إلا بقضاء شهواتكم وملذاتكم .. حياتكم خمر منكر نساء .. مللت هذه الحياة المرعبة .

اشتدّ الغضب بسامي نصار عندما سمع كلام فوز الجارح وقال : أنا ضال ..أنا مجرم .. أنا لا أريد هذه الحياة التي تعيشنها في بيتي .. نحن لا يناسبنا هذا .. نحن عشنا في أمريكا ، وعرفنا عادات لا نستطيع التخلص منها ، فأنت تخلصت من ذلك لصغر سنك ، ولم تقطعي شوطا طويلا فيها .. فالخمر لا يمكن التخلي عنها في يوم من الأيام ، وكذلك السيجار ، وكذلك الحفلات ، وغير ذلك مما لا يعجبك يا فوز! لا أحب كلما أراك أن أشعر بالندم والأسف .. لا أريد أن أتذكر أنني عاص .. لقد نسيت يا ابنتي ! هذه الطقوس التي تمارسينها .. لقد نسيت هذا الدين .. وأمك مثلي فهي ابنة الغرب وعادات الغرب .. نحن لا نحب هذا الأمور في بيتنا فرأيت أن زواجك خير لنا ولك .. دعينا نحيا حياتنا التي اخترناها بهدوء ، إنني أحرج أمام أصدقائي وزملائي المتحضرين منك ومن تصرفاتك .

قالت فوز وفي نبرتها رجاء وأمل: بل أنتم دعوني أعيش بسلام وهدوء ، تحملوني حتى أنهي دراستي وسوف أفارقكم .

فقالت أم فوز : اعقلي يا فتاتي ! ودعك من ثياب الغربان ، عودي للحياة الجميلة ، فكل صديقاتك متضايقات منك ، ويسخرن منك ، يقلن وهل تمنع الصلاة الرقص والغناء ؟! ساعة

لله وساعة للترويح عن النفس ، كثير من الفتيات يصلين وهنّ يخرجن بالملابس الحديثة ويجلسن مع الشباب بلا حرج ، ويقلن أنّ فوزا أصابها جنون وهوس الدين .

وتابع الأب قائلا : لقد أصبحنا سخرية لكل الأصدقاء، ويقولون الدكتور سامي لم يحسن تربية ابنته ، ولا نستطيع السيطرة عليك ، وأنك لا تطيعيننا .. أين طاعة الوالد التي في دينك هذا ؟!

فضحكت فوز ضحكة قصيرة وأردفت تقول: رائع كلامكم ! .. طاعة الوالد ! .. طاعة الوالد في ترك الدين.. لا يا أبي ! .. طاعة الوالدين تكون فيما أحله الله وأباحه .

فرجع الأب للزعيق والهياج : فوز!.. عليك أن تتزوجي بأسرع وقت ممكن ، ولو من الشيطان أو تسافري خلال أيام ..أدرسي في أمريكا .. أو أن تتخلي عن كل الجنون والهبل الذي أنت فيه

فقالت باكية ضاحكة : أتريد مني أن أتزوج من مدمن مخدرات .. لم تجد لي إلا شابا فاسقا ؟!

قالت الأم: لا أحد يريدك ، كلهم يقولون إنك معقدة ومجنونة ..لا أدري كيف رضي وقبل ابن الأستاذ عمار بالقران منك؟! لولا ثروة أبيك ما اقتنع بك يا عزيزتي !

قالت فوز : أنا لا أريد الرد عليكم. والتفت لأبيها قائلة : أنتم ترون أن الزواج يبعد شبحي عنكم ..أنتم بذلك تتخلصون من صوت القرآن يدندن في هذا البيت .. تريدون أن يبقى البيت في ظلام الجاهلية .. أنا لديّ حل يا أبي العزيز إن لم يعد لكم صبر على الشهور القليلة الباقية لأتخرج من كليتي ...

فقالت الأم مقاطعة : وأين ستذهبين بعدها ؟! هل ستفارقين البيت؟ الزواج هو الذي يخرجك من البيت اليوم أو غدا ، واليوم خير من غدٍ .

فقال الأب هازا رأسه ومحبطا : عليّ بالحل ، أرجوك تكلمي ، لقد تصدع رأسي من كثرة الكلام

فقالت فوز بروية : أتريد أن أفارق البيت لترتاح من شبحي يا أبي العزيز؟! أعرف أنني أسبب لكم حرجا وضيقا أمام أصدقائكم ورهطكم .. سأخرج من حياتكم ولن أساوم .. لن أتخلى عن إسلامي وطاعة الله حتى تتوقفوا عن مشروع زواجي .. حسنا سوف أتزوج لأخرج من حياتكم ؛ ولكن أنا التي سوف تحضر الزوج والرجل الذي أريد .. سوف أحضر لكم رجلا

يخلصكم مني ؛ ولكن هذا الرجل الذي أختاره لا تسألني عن فصله وأصله .. سأرتب الأمر مع نفسي ومع الرجل المختار، ونكتب الكتاب في هذا البيت وأتزوجه من غير عرس وحفل .. أترضى بذلك ؟؟

اعترضت الأم وقالت : من هو هذا العريس ؟؟!

أمعنت فوز النظر في عيني أمها قائلة ومدافعة عن نفسها : والله يا أمي ! ليس هناك رجل معين في حياتي الخاصة ، لست عاشقة ، وأنت أكثر واحدة متأكدة من ذلك ؛ ولكنني سأحدث صديقتي هندا ؛ لعلها ترشدني لزوج صالح ، وهو مطمع كل فتاة تؤمن بالله واليوم الآخر أمهلوني بضعة أيام .. أقل من أسبوع بمشيئة الله تعالى .. ما تقول يا أبي ؟

فقال الأب باستسلام كامل لشروط ابنته : أقبل اختيارك لأي شاب ؛ لكن على أن يكون متعلما ومتخرجا من إحدى الجامعات ، فعندئذ أنا موافق .. هذه حياتك ، وافعلي ما ترينه مناسبا .. خلال أيام أريد أن أنتهي من هذه المشكلة .. أرجوك يا فوز !

مسحت فوز دمعات حارة تساقطت على خديها وهي تسمع ردة فعل والدها ، وقالت بتنهد عميق: الخيرة فيما يختاره الله ..أيام يسيرة وسأحل مشكلتي أيها الوالدان القاسيان!

قال سامي ظانا أنه قد حقق الضغط الكامل على فتاته : اتركي ما أنت فيه من هذه الأحوال، واخلعي هذه الأسمال المقرفة المقززة ، وعودي للحياة الحلوة الجميلة نعرض عن الزواج .

فقالت فوز : صديقتي جميلة ماذا أصابها من الحياة الحلوة ؟! قل ..

فقال سامي مقاطعا وبنبرة حادة وغيظ : دعينا من جميلة.. وعجلي في الأمر الذي اتفقنا.. لم أعد احتمل جو هذا البيت .. حياة عصرية .. وصلاة وصوم لا تنسجم في بيتنا هذا هل تدركين ذلك ؟

قالت فوز : لم تعد تحتمل رؤيتي وسماعي .. ما أقسى قلبك ! أنا قد أعذر أمي وطباعها، فهي قد ولدت هناك ، ورأت تحلل أسرتها واندماجها في حياة الغرب، أما أنت فقد ولدت هنا وترعرعت هنا ، ثم تيسرت لك الدراسة في تلك البلاد فلماذا لم تحافظ على إسلامك ؟!

فهز الدكتور سامي رأسه ونهض قائما وقال : هيا بنا يا شادية !

وغادراها ولم يعقبا على كلامها الأخير .

وعند غروب شمس ذلك النهار ركبت فوز سيارتها منطلقة لبيت صديقتها هند ولما جلست معها روت ما جرى لها مع أسرتها ، وكانت هند قد علمت كثيرا من التفاصيل عن أسرة فوز ، وأحوالهم ورغبتهم العجيبة بتزويجها لإنهاء مشكلتهم مع توبتها وأوبتها ، وكل ذلك علمته من فوز نفسها ، فلما أنهت فوز حديثها عما جرى بينها وبين والديها، والاتفاق الذي تم بينهم ، وكانت تروي الخبر والدموع تتساقط من عينيها والنشيج يخرج من حلقها ، وهند تخفف من مصابها وهمها ومن الضغط النفسي الواقع عليها ، ثم خاطبتها قائلة: هوني عنك أيتها الأخت! فالإيمان تضحية واختبار وابتلاء ، ولا تكرهي شيئا ، فالأمور كلها بيد الله وحده ، المهم يا فوز أنّ أهلك يرغبون بخروجك من مجتمعهم الفاسد ، فقد أصبحت كابوسا يجثم على صدورهم إنّ الشيطان هكذا يصورك لهم ، لا أدري ما هي الحرية التي يتغنى بها هؤلاء الأغنياء ؟! هل تمسك الفتاة بدينها ينافي الحرية ؟! ولكنهم قد طمس على أعينهم المال وفتنة الدنيا وشهواتها ، وهل يوافق والدك على أيّ شاب ترضينه أنت إذا تقدم إليك خاطبا ؟ .

قالت فوز : المهم أن أبتعد عن البيت ، لا يريدون سماع كلام الله ،..إنهم لا يريدون سماع آيات القرآن تتلى في البيت أو أترك التدين.

قالت هند باستغراب: إلى هذه الدرجة لا يحبون شعائر الإسلام ! كنت أرى أنّ هذا النفور موجود في شباب الأحزاب الشيوعية الماركسيين فقط ، أما العلمانيون كنت أظن أنهم لا يبغضون هذه الشعائر من الصلاة والصوم واللباس الشرعي .

قالت فوز بحزن وأسف : للأسف أنا أعرف أنّ والديّ ينفـران من هذه الأشياء من قبل أن أتوب إلى الله ؛ ولكن إلى هذه الدرجة فهذا لم يخطر في بالي.. لنا قريب شيخ كبير كان أحيانا يزورنا بصحبة ابن له يعمل في أمريكا ، فعندما يأتي هذا الابن من الغرب يجيء للسلام على والدي ، فيصحبه في هذه الزيارة أبوه الشيخ الكبير ، فيرفع الآذان من مسجد الحي ، فيقوم

الشيخ للصلاة ، فأسمع أبي يعلق ساخرا : يا أبا ناصر ! ما زلت تصلي ، لقد نسيت الناس هذه الطقوس .. ويأخذون في السخرية من الصلاة والآذان ومدفع رمضان ، كنت أظن الصلاة يومذاك تخلفا وجهلا ، وأنّ الصلاة للشيوخ الكبار فحسب .. استغفر الله .. مشاهد مؤلمة تمر في مخيلتي اليوم .. كنت لا أكترث لها يا صديقتي العزيزة ! .. هل من حل عندك يا هند ؟

قالت هند بصراحة وبعد برهة من التفكير والصمت : سأكلم أخي مهديا عنك أترضينه يا فوز؟!

حملقت فوز في عيني هند لحظات وقالت وهي في حالة اندهاش : أخوك مهدي ذاك الشاب المتشدد يرضى بي؟!..هل مثل هذا الشاب يفكر بالزواج ؟! هند أنا لم أنس ما فعلوه أمام الحاكم منذ شهور ، وما عرضوه عليه أثناء الاحتفال ، وطلبهم منه تحكيم القوانين الإسلامية والإسلام سلوكا وشريعة على العباد ، وغضب الحاكم عليهم يوم ذاك ، وقد سمعنا عن الشغب الذي حدث في ذلك اليوم .. مهدي يرضى بي أنا فوز نصار ؟!

فقالت هند : ومن ذلك اليوم وأجهزة الأمن السرية تطارده ، وكاد أن يقع بين أيديهم منذ أيام وهل الشرع يمنعه من الزواج ؟! ..صحيح أنه يحمل أفكارا لا تعجب حكامنا ؛ ولكنه إنسان له قلب .

فقالت فوز متفكرة متذكرة : لقد رأيته مرتين .. مرة عندما كنت أتردد عليك وأنا ألبس ملابس الكاسيات العاريات ، فدهش من رؤيتي وحياني بحياء ، ولما سألتك من هذا يومها ؟ قلت إنه مهدي شقيقك ، وكان يومها خارجا من البيت ، وأما المرة الثانية رأيته في الجامعة عندما جاءك لغرض ما.

قالت هند باسمة: نعم ، هو هذا مهدي مروان ، وسيدهش عندما أعرض عليه الزواج منك ، لقد كان يظن في أول الأمر يا فوز! عندما اقتحمت علينا حياتنا وبيتنا أنك تعملين مع أجهزة الأمن ، وأنهم دفعوك للتجسس علينا ، وأنك مجندة للأمن السياسي .

فقالت فوز بدهشة : أوه ..هل هذا هو تفكيره ؟!

قالت هند : أنت تعرفين شباب الأحزاب الإسلامية ، فهم يخشون اختراقهم من قبل رجال الأمن ، فكان مهدي يذهب إلى ذلك التفكير ؛ ولكنه لما حدثته عن قوة توبتك ، وأنك جادة في التغير دعا لك بالثبات والنجاح .. وسوف تكون مفاجأة له عندما أخطبه لك .

فقالت فوز: أشكرك جدا ، فهذا دليل آخر على حبك لي حبك الكبير ، متى أسمع رده يا أختي العزيزة ؟

فقالت هند: فكما تعلمين أنه ما زال مطاردا منهم ، وبيتنا ما زال مراقبا ؛ ولكنه يتصل بي غالبا فعندما يتصل كعادته سأسر له بالأمر ، وأتصل بك لترتيب الأمر .. أمر هذا الزواج العاجل

فقالت فوز : كأنك واثقة من موافقته .

فقالت هند وهي تبتسم : ولـمَ لا يوافق ؟! فأنت فتاة جميلة وذات دين .. وتمرين بظرف صعب وهو يمر بظروف مماثلة ، وهو يسكن في منزل وحيدا فتسكنين معه حتى تكف الحكومة عنه ، ومهدي لي معزة خاصة في قلبه ، ومهما أطلب منه ينـفذ ، وأرجو من الله تعالى أن يتم هذا الزواج يا فوز ! فأنت تستحقين كل خير ومساعدة .. والحمد لله أنّ أباك موافق على زواجك ممن تختارين ، ولا يريد أن ينظر لمال أو غنى أو فقر .. ومهدي شاب جامعي فهو مهندس .. ومشكلته مع الحكومة سوف تنتهي بإذن الله .

وتعانقت الفتاتان ، ومسحت فوز ما تساقط على وجنيتها من دمع ، وبعد أن صلت فوز العشاء جماعة مع هند ، غادرت عائدة لمنزلها ، وقد خفت الثورة التي في قلبها التائب إلى مولاه عز وجل

هند تتحرك

بعد توديعها لصديقتها الجديدة عادت هند لحجرتها ، وقد استغرقتها مشكلة فوز وأهمتها المشكلة ، وشغلتها عن واجباتها الأخرى ، وكانت مستغربة لموقف أسرتها القاسي معها، ورعبهم من توبتها وإسلامها مع أنهم يحملون اسم المسلمين على كواهلهم وأوراقهم الرسمية، حتى أنهم يرغبون بتسفيرها خارج البلاد ، أو تزويجها بأسرع حين لئلا يشاهدونها تعبد الله وتسمع كتاب الله .. يخافون إيمانها؛ كأنها وباء أصاب البيت .. ألهذا الحد يصل النفور من الإسلام عند هؤلاء القوم ؟! لماذا يبغضون الدين ؟! أهذه هي العلمانية والحرية الفردية التي يترنمون ويتغنون بها ليل نهار؟! كان من الأجدر أن يروا ذلك نورا بزغ وأشرق في بيتهم وساحتهم .. هل الانغماس في اللهو والموبقات يفعل كل هذا الكره للدين ؟!

ولكن الناس في هذا الزمن يصدر منهم العجب العجاب من الغرائب والأفعال والأحوال، وعندما تتحدث وتتحاور مع هذه الأنواع من البشر.. وتكلمهم عن الحرية وحرية العبادة والاعتقاد يردون عليك بصلف " أن التدين يشكل خطرا على العلمانية والحرية والديمقراطية والفن " .. لماذا ؟!

ها هم الغربيون الذين يقلدهم هؤلاء الناس ، ويتبعونهم يسمحون للناس بالعبادة وزيارة المعابد والتردد عليها وإظهار شعائر أديانهم إلا في بلاد المسلمين يشكل التدين خطرا على الحرية ودارت في ذهنها ودماغها أفكار كثيرة ثم همست بصوت منخفض : أيقبل مهدي بالزواج وهو في مثل هذا الظرف؟! أيقبل بالزواج من الآنسة فوز سامي؟! هل هي الزوجة المناسبة للمهندس مهدي يا هند ؟! .. فتاة مثلها وفي سنها تترك الملذات والمال تستحق المساعدة .. كل المساعدة .. تستحق أن نقف معها ونشد أزرها .. حبيبتي فوز .. ألقيت حملك عليّ ..لماذا لا يتزوج ؟! ألم ينتهِ من الدراسة ؟ وهل يجب ويلزم العمل قبل الزواج ؟ .. وأمر الحكومة والاختباء سينتهي كما انتهى غيره من الاختباء والاختفاء .. وعندما يعتقل كما اعتقل كثيرا من المرات سيحبس بضعة شهور وينتهي الأمر .

هل هو الزوج المناسب لفوز؟ ربما قبلت اضطرارا وخجلا مني .. فهو شاب يحمل فكرا حركيا يسعى بقوة واندفاع نحو عودة الحياة الإسلامية للمجتمعات الإسلامية .. وكثير من شباب الإسلام في الشرق والغرب يسعون لهذا الهدف .. مجتمعات تعج بالأحزاب العلمانية من قومية واشتراكية لماذا لا يكون هناك أحزاب إسلامية ؟!

أمضت الفتاة ساعة أو أكثر وهي تدرس موضوع اقتران مهدي وفوز .. فظروف مهدي هذه الأيام صعبة وقلقة .. وفوز تمر في ظرف غريب وصعب إما التخلي عن التدين وإما الزواج .. فوز فتاة تابت من عهد حديث وهي بحاجة للدعم .. ولكن هل تناسب مهديا المتمسك بدينه وصلاته منذ نعومة أظفاره ؟.. أخي مهدي يسمع كلامي وآرائي .. وفوز طيبة ومحبة للتدين والدعوة رغم حداثة التزامها بأمر الله ونهيه.. لقد تركت كل هذا الإغراء والمدنية وراء ظهرها وتمسكت بالإسلام .. إنها تريد الإسلام الحقيقي .. لقد كانت سنة عاصفة ومهمة في حياتها .. صحيح أن مرض صديقتها جميلة وموتها أثرا فيها ودفعاها للتفكير بالمرض والموت والبحث عن السعادة الحقيقية ؛ ولكن تأثيرها بعد كل هذه الشهور لابد أنه خف وضعف .. فكم يمرض من الناس يوميا ؟ وكم يدفنون من الموتى ؟! .. إنها تريد الله سبحانه ! ..فزواجها من مهدي سيساعدها كثيرا في الثبات والقبض على دينها .. الفتن كقطع الليل المظلم .. ولكن المشكلة ظروف مهدي وصراعه مع النظام والأمن

اتصلت بأخيها معتصم وطلبت منه إذا اتصل به مهدي أن يتصل بها لأمر هام ومثير .. والتقت هند بأخيها مهدي في منزل إحدى خالتها ، وترك لهم محمد ابن خالتهم حجرته ، فشرحت له سبب هذا اللقاء المهم والمشكلة التي تحاول حلها ، ورغبته بالاقتران من فوز وبينت له أن القضية ليست قضية شفقة وعطف .. والعرسان لدى والدها كثر؛ ولكنها ترغب بزوج صاحب خلق ودين لتحافظ على توبتها ودينها وأخلاقها .. وأنها قد ألقت حملها على هند ورأت فيها الصديقة التي تستطيع مساعدتها والوقوف بجانبها في هذه المحنة والتحدي .. وأبوها لم يشرط عليها إلا أن يكون العريس متخرجا من جامعة فقط .. وعندما يعلم الرجل باختيارها لمهدي سيقبل

باختيار ابنته .

قال مهدي : ومشكلتي مع البوليس السري ؟

ـ فوز تعرف ذلك .. ولم تعترض على اختياري لك ، ولا على ظروفك .. إنما استبعدت قبولك أنت الملتزم والمتشدد في نظرها ونظر الكثير في الرضا بها قرينة .. الوضع ليس طبيعيا مائة بالمائة وبعد مناقشة الأمر من جوانب مختلفة .. والحديث عن حياته المضطربة هذه الأيام ، وقد يعاقب ويحبس هذه المرة أكثر من المرات السابقة .. وهونت عليه هند الأمر ، وأنها ستضع فوزا بالصورة القاتمة.. وأن المشاكل مع الأمن السري ستنهي يوما ما ، وأن الزواج مصير الكائن الحي ، وأن هذه الظروف لا تقف عائقا أمام مشروح الزواج العاجل.. وفي نهاية اللقاء استسلم مهدي لأفكار هند بالزواج من فوز في هذه الظروف .. وتناولوا الغداء مع خالتهم وابنها محمد الشاب الذي يدرس هو الآخر في كلية الهندسة .. ولما عرض الموضوع على محمد ، شجع بدوره مهديا على الزواج رغم ظرفه وقال أيضا : فوز فتاة شجاعة بما سمعت منكم عنها .. فهجر مغريات الدنيا في بيئة كبيئتها شجاعة يا مهدي .. وإن كنت تخشى ما يسمونه المستقبل ففوز لم تتلوث كثيرا ببيئتها .. فمن كلام هند عنها فهي جادة في الابتعاد عن حياة وطباع والديها وجيرانها .. فلا أعتقد أن هندا تتحدث عنها بعاطفة فحسب .

قالت هند : والله أنا أحببتها في الله عزّ وجل .. وأتمنى لها كل الخير.. ولم يخطر في بالي أن تكون زوجة لأخي الفاضل .. ولكن تسارع الأحداث بهذه العجلة ولجوئها إليّ ، ودموعها بين يديّ كل هذا دفعني لعرض الموضوع على مهدي .. فأنا صحيح أعرف كثيرا من الفتيات والصاحبات ولكني لا أعرف إخوانهن .. ولم يخطر في بالي لحظتها إلا مهديا .. فحدثتها عنه فسرت ، ولم ترفض بل وافقت وقالت " متى يكون رده ؟! "

فضحك محمد وقال: هذا من حبها وتقديرها لك يا هند .. لا أحد يتعرف عليك ويكرهك .. كلنا يعرف علم هند وتدينها وثقافتها .

حدث في ليلة الزفاف

هذا ما فعلته هند بعد أن انصرفت من عندها صديقتها فوز التي رمت حملها على هند ، أما ما حدث لفوز بعد لقائها الأخير بهند ، فقد دخلت عليها شادية في الصباح التالي ـ بعد انطلاق سامي سبل إلى مكان عمله ـ دخلت حجرة ابنتها فوز فوجدتها تقرأ القرآن ، فألقت عليها تحية الصباح ، ثم جلست على كرسي في غرفة فوز الخاصة ، فأغلقت فوز المصحف ، ورحبت بوالدتها ، وأخذت بالاستماع لحديث والدتها التي قالت : لقد اعتذر والدك للأستاذ عمار عن الزواج أمس ، وذلك بعد أن بين له رفضك الشديد ، وأن ابنه يتعاطى المخدرات القاتلة ، فأنكر الأستاذ عمار أولا ثم اعترف أنّ ولده أدمن عليها فترة ، ثم أقسم لأبيك أنّه تركها وما عاد يتعاطها ؛ ولكن أباك تمسك بالرفض والاعتذار ، وأنه عندما وافق مبدئيا كان يجهل ذلك الأمر وتعلمين أنّه فعل ذلك من أجل أن ترضي عنا .. وأنت ماذا فعلت ؟.

وضعت فوز المصحف الذي بين يديها على مكتبها وردت على أمها فقالت: أمي!.. أما فكرت يوما بالتوبة يا أماه؟!..أما فكرت بترك حياة اللهو والمجون؟!

فصاحت الأم بغيظ: فات الأوان يا بنيتي! يكفي أننا تركناك تفعلين ما تشائين، ونحن نريد أن نثبت لك أننا مع حرية المرأة الكاملة ، ورخصنا لك باختيار زوجك هل دبرت أمرك ؟.. نريد أن نخلص من هذه المشكلة قبل مجيء سميرة وابن خالك فارس الدكتور مازن .

قالت فوز: أنتم الذين صنعتم من التزامي بديننا مشكلة ؛ كأنني دخلت في الإسلام من جديد نعم يا أمي! الحمد لله ، دبرت أمري ، وكلمت صديقتي هندا في الموضوع .. فلها أخ متدين جدا وهو متعلم .. مهندس قد تخرج حديثا منذ أشهر يسيرة .. ووعدتني هند بأنها سترتب الأمر معه ، وأرجو من الله أن يوافق ، فهو شاب شجاع وجريء ، ويقربني من هند أكثر.. آه يا أمي! كم أحببت هذه الفتاة !

تنهدت الأم وقالت: آه! .. وكم أكرها وأبغضها وأحقد عليها! لأنها سبب فسادك وتمردك علينا

فابتسمت فوز وقالت: ألانها أنقذتني من النار؟! أتحبين أن أكون وقودا لنار جهنم يا أمي ؟!

قالت شادية وهي تصر على أسنانها : أيٌّ تفكير تفكرين ؟! كيف تفكرين يا فوز؟!

قالت فوز : هناك حساب بعد الموت ، ولِمَ تهربين من الحقيقة ؟!

هزت الأم كتفيها ثم رسمت ابتسامة على وجهها ؛ وكأنها فطنت لشيء خفي من اختيار فوز لشقيق هند : فوز ! ألم ترتبي الأمر مع هذا المهندس من قبل ؟! .. ألا يوجد بينك وبين هذا الشاب علاقة عاطفية ؟! حكاية ما ، وهي التي غيرتك وبدلتك وقلبت كيانك .

قطعت فوز استرسال أمها بالكلام والشك والاتهام قائلة : لا ، يا أمي ! .. لم أتب من أجل أن أصل لقلبه .. بل والذي خلقني وخلقك ما رأيته إلا مرتين ، وما تكلمت معه أبدا ولو كلمة واحدة .. وأجلوا أمر الزواج ، وأنا سأعتذر لهند وله ؛ لأثبت لك أنني لا أهتم بالزواج الآن ، بل أنا أنتظر رده .

فقالت الأم بسرعة وبكشرة : لا تفعلي ذلك .. فأبوك يريد أن ينتهي من الموضوع بسرعة ، فهو متضايق منك جدا .. المهم رضاك علينا ، والزواج أبوك مصمم عليه ؛ لأنه يئس من عودتك لحياة المرح والفرح والرحلات .. فأي إنسان ترينه مناسبا لك ..فنحن موافقون عليه .. نحن يا فوز! لسنا قساة القلوب ، ولكن نمط الحياة التي تعودنا عليها منذ أربعين سنة ، لا يمكن تغييرها من أجل صدمة أثرت عليك ، فكم من الصديقات مرضن بالسرطان وغيره ، أو متن بحادث سير مرعب ، فلم يؤثر فينا ذلك إلا بضعة أيام ، وعدنا للحياة ، فوالدي العزيز مات بسرطان الكبد من كثرة ما شرب من الكحول ، ثم نسيناه ، فالفرح والمتعة أفضل من الحزن واليأس من الحياة .

همست فوز قائلة : الدين لا يمنع الفرح والمتعة ، ولا يقيد الحرية كما يشاع ..ألا تؤمنون بالآخرة ؟! الدنيا تحتاج والحياة الثانية تحتاج .. ربنا طلب منا ألا ننس نصيبنا وحظنا من الدنيا هناك زواج ، فلماذا الزنا ؟! وهناك الشراب المباح ، فلم الخمر ؟! هناك الطيبات ، فلم الخبائث؟! .. فالمؤمن ليس أنانيا ، فهو كما يحب الخير لنفسه ، عليه أن يحبه للآخرين ، فأنا أحب لكم الخير والفوز برضا الله .. ألستم أبواي ؟!

ردت الأم بغير مبالاة كطبيعتها التي تأقلمت وتكيفت عليها : لا تشغلي قلبك علينا ، نحن اخترنا طريقنا وحياتنا، ونحن لن نتخلى عنك ، فستبقين ابنتنا الغالية، فاحيي حياتك كما تشائين وترغبين ، ونحن نعيش حياتنا كما نشاء ونشتهي.. متى سترد عليك الآنسة هند هذه ؟

قالت فوز : اخبري أبي أن الأمر سينتهي قريبا .. أنا متألم ومتضايق للغاية من تصرفكم ، وأكره حياتكم الماجنة وضلالكم .

أجابت شادية بجفاء : لو تركت هذه الخزعبلات التي تمارسينها ، لما جرى ما جرى ، ولا يهمنا كرهك لحياتنا وفسقنا كما تقولين، كلٌ يحيا الحياة التي يرتاح إليها، وعلى الصورة التي تعجبه ويحبها .

وتركت الأم غرفة ابنتها ، واتصلت بزوجها واختصرت له ما فعلته فوز، وعند الغروب تلقت فوز مكالمة هاتفية من صديقتها "هند مروان" تزف لها الموافقة والبشرى ، واستعداد مهدي للزواج رغم الظروف الصعبة المحيطة به ، واتفقتا على يوم يتعارفون فيه ، ويتحدثون مع والدها في الموضوع ، ليتم ترتيب يوم عقد الزواج والزفاف .

ولقد قام مهدي وأخوه معتصم وزوجته أم محمود وأخوهم الكبير محمد وزوجته وهند بزيارة ليلية إلى بيت السيد سامي ، وجرى التعارف بين سامي وصهره مهدي ، ورحب بهم الرجل ترحيبا كبيرا ، وأبدى الدكتور سامي ترحيبه الكبير بمهدي وأخويه ، وبارك له هذا الزواج ، واعتبر اختيار فوز لهذا الشاب اختيارا موفقا ، فهو في قرارة نفسه كان يخشى أن تأتيه بشاب غير متعلم في جامعة فقير معدم طامع بثروته ؛ ولكنه لما تعرف عليهم سر لاختيار هند وفوز ، وخلال أيام قليلة التقوا أمام إحدى المحاكم الشرعية ، وعلى يد قاضي المحكمة تم عقد القران حسب الأصول والأنظمة المرعية ، وتقرر أن يقوم أهل فوز بحفل عائلي متواضع جداً ، حفلة وداع لفوز مساء يوم اتفقوا عليه ، ثم يأتي المهدي ومعه عدد يسير من السيارات ، ويأخذون العروس من غير صفير وتصفيق ، ومن غير ضجة وضجيج ، وبدون أبواق ونفير بناء على رغبة العروسين .

ولما علم أقارب سامي بهذا الزواج الغريب والعاجل دهشوا ، وتقولوا حوله الأقاويل ، واعتبروه زواجا سريا وشاذا ، فهم كانوا يرون الدكتور سامي يحتفل بعيد ميلاد فوز سنويا في فندق ذي خمسة نجوم أو نادي خاص ، وجن جنونه عندما رفضت فوز الاحتفال بعيد ميلادها العام الماضي ، واعتبرت فوز هذا الاحتفال تقليدا للغرب ومحاكاة للنصارى ، ولم يفعله المسلمون الأوائل .

ولقد جهز المهندس مهدي مروان بيته المستأجر بالأثاث المناسب ؛ وذلك بمساعدة والده وإخوته للظروف التي تلم به، وقد أحس بها القراء في مطلع القصة، وفي مساء يوم الخميس ، بعد صلاة العشاء ، خرجت ثلاث سيارات صغيرة من بيت مروان والد مهدي ، تحمل أفرادا من أسرة مروان لإحضار العروس من بيت والدها لبيت الحاج مروان ؛ ليتم الاحتفال بالزواج ثم ترسل العروس بعد الاحتفال لمنزل مهدي المستأجر ، وقد خطط ليكون حفلا بهيجا من أجل خاطر فوز ، وستقوم صديقات هند وأهلها بالواجب .

ولما ابتعدت السيارات عن منزل الحاج مروان ، غيرت إحدى السيارات طريقها نحو مسكن مهدي المختفي فيه عن عيون رجال الأمن السري ، فوجد سائق السيارة التي غيرت خط سيرها باتجاه منزل مهدي مهديا في انتظاره ، فحيا مهدي ابن عمه مالك عبد العزيز الذي طمأنه أنّ الأمور تسير على خير ما يرام ، فشكره مهدي ، ولحقوا بالسيارتين الأخريين قبل وصولهما لقصر الدكتور سامي ، وهناك أمام القصر الكبير وقفت السيارات ، فهبط معتصم وزوجته ، وأخوه هلال وزوجته سماء من السيارة الأولى ، ونزلت من السيارة الثانية هند وأحد إخوتها وبعض أخواتها ، ونزل من السيارة الثالثة مهدي وابن عمه مالك ، ودخلوا القصر ، وكان في استقبالهم الدكتور سامي المالي الكبير ، وكان معه في الاستقبال شقيقه سمير، وتقدمهم الدكتور إلى قاعة واسعة في القصر حيث يجلس ضيوفه من الأقارب والأصدقاء المقربين ، وصعدت هند والنساء اللواتي برفقتها إلى الطابق الثاني حيث تحتفل شادية ولفيف من النساء بوداع العروس .

وقد قام سامي أمام لفيف الأقرباء بتعريف سريع للمهندس مهدي مروان ، وبارك له الأقارب

والمدعوون بهذا الزوج ، وتمنوا لهم التوفيق والسعادة ، وبعد أن شربوا قهوة العرس ، كانت النساء قد هبطت من الطابق العلوي وهن يمشين خلف العروس الجميلة التي كانت تمسك بيد هند ، ولما صرن في القاعة الكبيرة وقفن برهة من الزمن يودعن فوزا ، ويدعون لها بالبركة والتوفيق ، ويباركن لأمها بهذه المناسبة التي ما رؤيت باسمة خلال ذلك الحفل .

ووقف مهدي وإخوانه يشكرون الدكتور سامي وأقاربه، ويتهيئون للخروج، عندما تقدم رجل أشيب فجأة مندفعا نحو مهدي ، ووضع يده على كتف مهدي أمام دهشة الجميع ، وهو يقول بتوتر ووجه عابس : أنت كما قيل منذ دقائق تدعى مهدي مروان .. طالب في كلية الهندسة وكان تخرجك قبل شهور .. أليس كذلك ؟

التفت إليه الجميع واجمين ، وقد خيم السكون على المكان ، وقال مهدي بهدوء : نعم يا سيدي أنا هو المذكور ؟!

فقال الرجل الأشيب بصوت عال نوع ما ، ومسموع لكل من في القاعة ذكورا كانوا أو إناثا : أنا العميد زكريا داود من مرتب الأمن السري .. ألقي القبض عليك باسم الحاكم الكبير للقطر لإثارتك الشغب وإهانة السلطات والحكومة .

ثم صاح بصوت مزعج وبانفعال شديد : أيها الناس ! هذا رجل مطارد ، ولنا مدة نبحث عنه ارتبك الحاضرون للمفاجأة ، وظهر الذعر والقلق على هذا الحفل المتواضع فقال مهدي بهدوء أعصاب : أتريد القبض عليّ .. أنا بين يديك ؟!

طلب العميد زكريا من ابنه أن يتصل برقم ما على الفور ، ويطلب سيارة أمن لاعتقال الشاب وكان سامي في غاية التوتر والقلق والحنق لهذه المفاجأة ، وكان ينظر لفوز بحنق وغضب يكاد أن ينفجر في الجميع

وفجأة تركت فوز يد هند وقالت العروس أمام ارتباك الحاضرين: أيها السادة ! هذا زوجي أولا ، وأنا أعرف أنه مطارد من رجال الأمن والشرطة .. أتعرفون لماذا هو مطارد؟.. لأنه يطالب هو وثلة من أصدقائه حاكمنا العتيد بتطبيق شريعة الله على العباد .. هو ليس لصا أو مرابيا أو

سكيرا أو متعاطيا للهيروين ..إنه شريف يقول الله ربي .

فقالت هند متأثرة بدفاع فوز ومعجبة بها وبشجاعتها : أحسنت يا فوز! وبوركت من الرب عزّ وجل ، وجزاك الله خيرا .

وهنا قال مهدي بصوت مرتفع : يا فوز ! اذهبي مع أهلي ، فأنت زوجتي ، وأنـتم يا معتصم! أتموا الفرح وحفل الزواج كأنني بينكم ، ولن تطول غيبتي ـ إن شاء الله ـ في مظالم وظلام هؤلاء الأتباع ..هيا خذوا فوزا وانصرفوا .

لم يتكلم والد فوز بل لزم الصمت ، وخرجت فوز والأخوة أمام صمت وذهول الجميع ، وركبت فوز مع هند ، وفي ذلك الحين وصلت سيارات الأمن ، وقبل أن يبتعد أهل العريس بعروسهم ، كان ضابط الأمن الذي اقتحم شقة معتصم منذ أسابيع يترجل من سيارته ، ويستلم مهديا من العميد زكريا وهو في غاية الدهشة مما جرى ، وتمنى النقيب ساري كما همس في أذن مهدي "أن لا يكون قد قبض عليه في يوم كهذا" .

وأدرك الضابط أن الصحافة أو صحافة المعارضة ستعمل من الحدث دراما ، يتحدث عنها الناس أياما وليالي ، وسيكتبون مانشتات صحفية مثيرة .



والد مهدي

كان والد مهدي الحاج مروان قد أمر بتجهيز غرفة مهدي في بيته الكبير لتسكن فيها العروس حتى يخرج مهدي من معتقله ، ومع ما كانت فيه العائلة الكبيرة من ضيق وهم من اعتقاله وتوقيفه ، فقد كانوا مسرورين من عروسه ومن شجاعتها وثباتها ؛ فإنها لم تحاول البقاء في بيت والدها ريثما يخرج الزوج المعتقل .. أما هم فقد اعتادوا على المضايقات التي تحصل لهم بسبب نشاط مهدي وحماسه نحو الدعوة إلى عودة الحياة الإسلامية في المجتمعات المسلمة ، وبروز أحكام الشريعة الغراء في حياة الناس، والابتعاد عن مظاهر محاكاة وتقليد الكفار والغرب.

استقبلت فوز وفدا من طالبات كليتها أتين لتهنئتها بمناسبة زواجها من مهدي ، وكان من ضمن الوافدات أسماء قريبة هند كما يعرف القارئ المحترم ، فاستقبلتهن فوز في صالون البيت بيت والد مهدي .. وبعد الترحيب وتبادل التهاني المعتادة أخذن في الثرثرة حول ظروف هذا الزواج العاجل والذي جرى ليلة زفاف العروسين من القبض على العريس واعتقاله ، حتى أن إحدى الفتيات همست في أذن فوز قائلة : "إنهم يشيعون في الكلية والجامعة أن أهلك شاركوا في مؤامرة القبض على مهدي .. وبعضهم يتهمك بالتواطؤ في عملية الاعتقال!"

ضحكت فوز لهذه الإشاعة السخيفة وقالت معلقة وبصوت مسموع للفتيات الزميلات كلهن: وكان زواجي من مهدي مروان من ضمن اللعبة أو المؤامرة .. عقول سخيفة !.. الأمر حدث صدفة إذا جاز استخدام هذا التعبير .. قدر الله وما شاء فعل ..أصلا يا عزيزاتي أهلي لا يعلمون عن مهدي إلا أنه شاب متدين ، وأخ لهند ومتخرج حديثا من الجامعة ..لا يعلمون أنه من شباب الحزب الإسلامي .. على كل أنا سأعود للدوام والحضور مطلع الأسبوع القادم، وأسمع كل هذه الشائعات بنفسي .

فقالت أسماء : والله ألف مبارك يا عروس .. قصة زواج مثيرة .. لم تخبرينا بشيء قبل الزواج .

أجابت فوز باسمة ومعتذرة في نفس الوقت : حدث الأمر بسرعة وعجلة .. وعتبك أنت ليس عليّ إنما عتبك على هند ابن عمتك .. بل الأولى أن يكون على أختك سماء .. زوجة هلال

ضحكت أسماء وقالت: لقد سمعت بذلك في البيت ؛ ولكني لزمت الصمت لظرف مهدي ؛ ولانشغالك بالتجهيز ؛ ولكثرة غيابك خلال الأسبوع الفائت .. أين هند؟ .. كل هؤلاء الحسناوات أتين للتهنئة أولا ثم لرؤية الأخت هند والتعرف عليها.

قالت فوز: أهلا وسهلا .. أخبرتها بأمر هذه الزيارة ، وهي مع عمتي مشغولة بالمطبخ وستأتي بإذن الله .. يا مرحبا بصديقات الكلية .

قالت أسماء وهي تنهض قائمة : اسمحن لي أيتهن الزميلات بالدخول للسلام على عمتي .

وانصرفت للسلام على عمتها أم محمد والدة مهدي .

ولما عاد الهدوء للغرفة قالت إحدى الفتيات : إن شاء الله ، يا فوز ! أن تكون حياة سعيدة ، متى الغداء لقد شبعنا من هذه الفواكه .. لقد أنبأتنا أسماء بأنك هيأت لنا غداء خاصا .

كانت فوز قد أعدت الفاكهة والعصير والقهوة المرة ووضعتها في الصالون قبل مجيء صويحباتها حتى لا تنشغل عن صاحباتها بالذهاب والإياب لإحضار الضيافة والشراب .. كررت فوز الترحيب بهن ثانية وهي باسمة المحيا وقالت : سنتغدى إن شاء الله .. اصبرن رويدا !

ردت الفتاة التي استعجلت الغداء : إنني يا فوز مستعجلة في الانصراف لشأن .. فهذا ما دفعني للحديث عن الأكل.. وأنا لم أحب التخلف عن هذا اللقاء الجميل.

فقالت فوز : الشكر لكنّ جميعا .. اصبري قليلا .. ألا تحبين أن تري هندا ؟

وأخذت فوز تحدثهن عن قصة زواجها العاجل وملابسات هذا الزواج ، وبينما هن يصغين لحديث فوز دخلت عليهن هند تحمل عددا من الأطباق الفارغة فقمن يرحبن بها ، ووضعت هند أطباق الطعام على مائدة كبيرة ، واستدارت ترحب وتسلم عليهن بعد أن أخبرتهن فوز قائلة وقد بدت مسرورة من وجود هند: هذه هي العزيزة هند .. حبيبتي هند !

فتعرفت عليهن هند ، وأظهرت شكرها وامتنانها لهن على مجيئهن ، ودعتهن لأكل المزيد من الفاكهة ، وبينت لهن محاسن تقديم أكل الفاكهة على الطعام ، واختصرت لهن آداب الطعام والضيافة في الإسلام والسنة ، وذكرت لهن طعام أهل الجنة ولباس أهل الجنة ونعيم الجنة

باختصار مبين .. فهند فتاة تجعل من كل مجلس لها مع الناس مجلس دعوة وعلم وتذكير .. وفوز مسرورة منها ، وتعرف هذا الأسلوب منها ، فكانت تبتسم رغم المحنة التي تحيط بها .. وتحدثت هند في ذلك الموضوع مدة عشر دقائق ، كان فيها من التشويق والترغيب مما أسال اللعاب إلى تلك الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..

وأقبلت أم محمد تحمل بعض الطعام وخلفها أسماء تحمل المزيد منه ، وخلال دقائق كانت الأفواه تشتغل بأكل الطيبات ، وقد تعرفن على حماة فوز السيدة أم محمد خلال تناول الطعام التي سرها اللقاء بهنّ وتمنت لهن السعادة في الدارين .

ولما انتهين من الطعام وفرغن منه ، قالت لهن هند ضاحكة : الآن اسمعن أيتهن العزيزات الغاليات هذه الحكمة ..

فالتفتن إليها مصغيات ، فقالت وما زالت باسمة الوجه: يروى أن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال لابنه الحسن ـ رضي الله عنه ـ يوما: " لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع ، وقم عنه ونفسك تشتهيه ، وجود المضغ ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء (الحمام) .. ، فإذا استعملت هذا ، استغنيت عن الطب " .. هذا نصيحة بهذه المناسبة ، وأنا لم أقلها حتى فرغتن من الطعام ، حتى لا تقلن إن هندا روت لنا هذه النصيحة حتى لا نأكل كثيرا ونشبع بسرعة .. وتتهمنني بالدعوة للبخل .

فسرى بينهن الضحك والبسمات وقالت إحداهن : والله مشكورة يا هند .. أنت فتاة دمثة .. أنا اعبر لك عن امتناني لكم وإعجابي بك وبفوز .

وأخذ الحديث هذا المجرى حتى فرغن من نقل الصحون والأوعية للمطبخ ، وعادت هند بهن للإسلام والتمسك به والعمل بتعاليمه الثمينة .

ورجعت فوز للدوام في الجامعة ، وقد مرت أيام وأيام على اعتقال مهدي ، وهو قابع في سجن الأمن السري ، حتى ينتهوا من التحقيق معه ، وقد منعوا عنه زيارة الأهل والمحامين ، وذات مساء كانت هند وفوز جالستين تتحدثان في الأمر.

فقالت هند : أتذكرين أول مرة التقينا فيها يا فوز !..كنت تجلسين على حافة سيارتك ، تتكلمين مع ابنة خالي أسماء ، وقد التقينا في ذاك اليوم بتقدير من الله يا عزيزتي ! هل كنت تظنين أنك ستصبحين من أسرتنا وزوجة لأخي مهدي؟! إنّ قدر الله فيه العجب العجاب .

فهمست فوز وكانت ساهمة النظر والفكر ، تفكر في ذاك اليوم الذي التقت به بهند لأول مرة ، وتفكر بزوجها القابع في سجن الأمن الخاص : مسكين مهدي ! .. نحن نجلس على الفراش الوثير ، وهو الآن مطروح في زنازين النظام الحاكم ..

وتابعت تقول كأنها مواسية لنفسها : ولكن على المرء أن لا يكره شيئا " رب ضارة نافعة " كما يقول المثل ..

ثم عادت لما سمعت من هند فقالت : يا هند! إنّ اللحظات التي تذكرينني بها لا أنساها أبدا ؛ ذاك يوم أصبح خالدا في مسيرة عمري ، لقد كنت في ضياع وحيرة .. الإنسان لا يحيا من غير غذاء الروح .. فأنا أرى أنّ أكثر الناس الضالين يلجئون للخمور والمسكرات للفراغ الروحي الذي يعانون منه ، ولضعفهم أمام معالجة مشاكلهم في الحياة .. أختي العزيزة هند! لقد اتصلت بي أمي أمس ، وباركت لي زواجي بعد كل هذه المدة من الحرد ، وأخبرتني أنّ أختي الكبيرة سميرة قد تصل الليلة من باريس ، فهي قد وصلت إليها بصحبة ابن خالي قادمين من أمريكا .

قالت هند : بالسلامة إن شاء الله تعالى .. كيف حال والدتك يا فوز ؟!

ابتسمت فوز وقالت: تقول إنها بخير ، ولا أدري ما هو الخير الذي ينشدونه من حياتهم! .. هداهم الله ، وأخبرتني أيضا أنّ والدي طلب من أحد محاميّ المصرف الاهتمام بقضية مهدي ، وأن يتعاون مع المحامي الذي كلفه والدي العزيز الحاج مروان الأستاذ القانوني إسماعيل أبو حسن .

ردت هند : شكرا لوالدك العزيز .. لقد تعودنا ـ يا فوز ـ على حبس مهدي بين الحين والحين الآخر ، وأنت سوف تتعودين على هذه الآلام ؛ ولكنهم هذه المرة كما علمت من أبي قد يحاكمونه ولا يكتفون بتوقيفه بعض الوقت ، لقد أساءوا للحاكم مباشرة في ميدان الاحتفال الكبير ،

ورفعوا يافطات تطالب بتحكيم القوانين الإسلامية ؛ وذلك دون إذن إدارة الجامعة ، ووزعوا بيانا على المشاركين في الاحتفال يندد بالظلم ، وترك شريعة الله ، كان يوما مثيرا ، فبعض الشباب اتهموا الحاكم بموالاة الكفار، والتعاون معهم على سحق دعاة الإسلام ، ومهدي من زعماء الطلبة في ذلك اليوم الغريب ؛ ولكن لهم الله ، ولن يصيب المرء إلا ما كتبه له الله.

فأخذت فوز بالدعاء لمهدي بالصبر والثبات ، ثم قالت بعدئذ : أنت عزيزة على قلبي يا هند ! وأنا أحببتك في الله.. وأرجو أن تكوني معي صريحة .. هل يتضايق والداك من خروجي للتسليم على أختي ، ونحن نمر في هذه الظروف القاسية .. أرجوك أن تتكلمي بصراحة ومن دون حرج تطلعت هند في عيني فوز برهة من الوقت ، وابتسمت لها ابتسامة واسعة ، وهتفت قائلة : أنت مؤدبة جدا يا فوز ! وألفاظك مختارة بدقة ، فعندما تذكرين أبي تصفينه بوالدك العزيز ، فهذا لطف وأدب كبير منك ، وعندما تذكرين زوجك الذي لم تختل به أكثر من بضع دقائق منذ أن تعارفتم تغرقين بالدعاء والابتهال له ؛ كأنك عاشرتيه منذ عشرات السنين ، حقيقة أنّ والديك أحسنا تربيتك على اللطف والمجاملة ، فقط الدين قصروا أن يغذوك به .

قالت فوز : شكرا هند .. الدين وحده هو الذي أدبني يا هند! وهو الذي حسن أخلاقي .. أيُّ تربية في لبس الملابس العارية؟! .. والاختلاط مع المراهقين ومشاركتهم في المسبح ، فأيّ تربية يا عزيزتي ؟! أنا تعلمت منك وحدك يا هند ! أنت قدوة حسنة للفتيات وتتكلمين بأدب وحساسية ورقة ...

قطعت هند استرسال فوز قائلة : بارك الله فيك دعيك مني ، فأنا أحبك في الله يا فوز! وتعرفين ذلك منذ تصاحبنا ، وأما بالنسبة لاستفسارك عن ضيق الوالدين من خروجك للسلام على أختك ، فاعلمي يا أختي العزيزة ! أنك لم تعرفينا جيدا بعد ، نحن لا نتعامل بحساسية زائدة في حياتنا الاجتماعية وعلاقتنا مع الآخرين .. نحن علمنا الوالد منذ الصغر أن نـقدم حكم الله وحكم الرسول صلى الله عليه وسلم علي أي تقليد وعادة وعرف ؛ فلذلك قد تكون بعض تصرفاتنا قد بدت لك غريبة ؛ ولكنها موافقة لدين الإسلام .. فالإسلام لا يمنع الابن أو الابنة

من طاعة ورعاية والديها الكافرين فكيف بالعاصيين ؟!..اذهبي إليهما وزوريهما في كل وقت ترينه مناسبا ، وهذا كلام أبي وأمي .. وليس بالضرورة أن تشرفنا أسرتك بالزيارة لنسمح لك بزيارتها ، لكل ظروفه وأحواله الخاصة .. هل لأن والديك لم يحضرا لتهنئتك بالزواج يغضبنا هذا ؟ .. صدقي يا أختي العزيزة ! أننا لا نعتب على والديك ولا نعتبر ذلك تقصيرا ، ولا نكرههما ، ولا نحقد عليهما .. فظروف هذا الزواج كما تعلمين كانت غريبة ، والتطورات التي جرت غريبة أيضا ، فالأمر غير عادي .. هيا بنا إلى حجرة الوالدين لتسمعي منهما ، واعلمي أنّ القبض على مهدي في منزل أبيك ، ومن قريب والدك العميد زكريا ليس ذنبك ، ولا ذنب أبيك ونحن متأكدون أن الأمر صدفة وقدر ، والأدق أنه تقدير الله سبحانه ، ولا نشك ولو يسيرا أن لك دورا في ذلك الأمر ، ولا لأبيك يا فوز ! وتأكدي أن مهديا يرى ذلك مثلنا يا فوز! وكان لابدّ من مسكه في يوم ما ، فهو مطارد كما تعلمين منذ آخر الفصل الماضي ، ونحن حمدنا الله كثيرا أن مشكلته مع الجامعة والنظام جرت بعد انتهائه من مواد الفصل ، وكان ذلك آخر فصل له في الجامعة .. ومهدي مسرور بك جدا مع أنه لم يجالسك إلا بضع دقائق ؛ ولكنه شكرني كثيرا على اختياري لك ، مع أنّ الظروف هي التي جمعت بينكما ، وقبل كل ذلك تدبير وقدرة الله تعالى

قالت فوز وهي تنهض قائمة ، وقد مسحت دموعا تساقطت على وجهها تأثرا بكلمات صديقتها هند : كم أسر وأنا أسمع كلامك العظيم ! وأتمنى لك السعادة يا أختي ! ويسر لك المولى زوجا صالحا تقر به عيناك

ردت هند بحياء المرأة المسلمة : أشكرك .. هيا بنا لوالديّ ليطمئن قلبك، وتتأكدي أنهم مسرورون بك أيتها العزيزة ! ويحبونك محبة الآباء لذراريهم، ويقدرون شجاعتك وموقفك الكبير ليلة العرس !

رحب الوالدان بالفتاتين، وأبدى الشيخ الكبير أبو محمد وزوجته أشد الترحيب بفوز ، وقال الأب والبشر والفرح مرتسمان على وجهه ، ويلمعان في عينيه : أنت عزيزة وغالية علينا كلنا يا ابنتي! .. نحن قوم لا نحب التشاؤم ، فالذي حدث قدر من الله ، ونحن نؤمن بقدر الله ، فلا

تنظري إلى نفسك وقدومك علينا نظرة شؤم ، حاشا لله يا بنيتي ! أن نتطير من دخولك علينا ، يكفي أنك خرجت معنا ، ولم تبق في بيت والدك ، وربما يحق لك ذلك ، فهذا موقف كبير عندنا فعزيزتنا هند حدثتنا عنك ، وعن أحوالك عندما عرضت علينا موضوع الزواج .. وهذا من فضل الله الكبير عليك أن انتشلك من ضلال الدنيا المفتوحة لك من أوسع أبوابها وحماك من فتنتها .. فنحن أهلك وعزوتك ، وكنت أود أن أقدم لك شيئا تسر به نفسك ونفوسنا ؛ ولكني كما علمت من هند تملكين الكثير منه ، وأعلمي يا بنيتي الغالية! .. أنّ مالي كله تحت تصرفك.. أتبكين يا ابنتي ؟!

سالت دموع فوز من جديد عندما لامست كلمات الحاج مروان قلبها ، ولمست الحنان الذي يكنه مروان لشخصها ، والسعادة التي يظهرها لها ، وأخذت الأم وهند تمسحان دموعها المتساقطة ، وأخذ الحاج بالثناء عليها ، وعلى شجاعتها ، ويدعو لها بالثبات على التوبة في هذا الزمان الصعب ، وأثناء سماع فوز لكلام والد زوجها قامت بتقبيل يده أكثر من مرة ، وهو يرجوها ألا تفعل ، وكذلك أبدت أم محمد حنانها ومشاعرها الصادقة وسعادتها لكنتها الجديدة ثم قال الأب منفعلا بالمشاعر التي ظهرت في هذه الجلسة الدافئة : سأهديك شقة يا بنيتي! في عمارتنا الواقعة في شارع البحر الأزرق ، عندما تزورون بيت أبي محمود سوف ترين العمارة التي تفضل الله علينا بإنشائها ، وعندما يخلي أي مستأجر شقته ستكون تحت تصرفك ، وسأكتبها باسمك لتبقى ذكرى من عمك أبى محمد .

ازدادت فوز شكرا لعمها وقالت بحرارة وحياء : ما أكرمك يا عماه ! .. بوركت يا عماه! .. أنا لا أريد شققا ولا عمارات .. أنا لا يهمني إلا الإفراج عن زوجي وإسعاده ورؤيته بقربي .

فقالت الأم : بارك الله فيك يا ابنتي العزيزة ! وإن شاء الله ستفرحان وتسعدان بحياتكم ، ويهبكم الباري سبحانه البنين والبنات .

وابتهل الجميع بالدعاء لها ولزوجها ، وترضّى عليهما الوالدان ، ولما انتهى الوالدان من حمد الله وشكره ، قالت هند : أبي الحبيب ! إنّ فوزا الرائعة ترغب بزيارة أهلها .

فقال الأب بعجلة ودهشة : وهل هناك ما يمنع من ذلك ؟!

قالت هند : هي ترى أنّ الظروف المحيطة بنا ، وأنها زوجة بلا زوج ، ترى في ذلك حرجا لنا .

قال مروان: أبدا يا ابنتي ! لا عليك ، ولا يوجد أيّ حرج .. فهؤلاء أهلك أمك وأبوك ، ففي أي وقت اذهبي لزيارتهما يا ابنتي !

قالت فوز : الصدق يا عماه ! أنا لست مشتاقة لهم ؛ ولكنّ لي أختا قادمة من أمريكا الشمالية ، قد تصل الليلة ، فأود التسليم عليها ، فهذا سبب الزيارة ، فلي زمن لم أرها .

ردت الحاجة أم محمد : لا حرج يا بنيتي ! زوري أختك وأمك وأهلك ، فنحن ليس بيننا وبين أهلك أيّ شحناء وبغضاء ، وليس لهم يد في القبض على مهدي، وكان لابدّ أن يمسكوه في يوم من الأيام .

قالت فوز : أشكركم جدا ؛ كأنكم تنطقون عن قلب واحد ، لقد خشيت أن أسبب لكم حرجا أولا للظروف التي أحاطت بزواجنا ، وثانيا لم جرى لمهدي في بيت والدي ، على يد قريبه ، وثالثا لغياب عزيزنا مهدي لنأخذ منه الأذن الشرعي بالخروج أليس كذلك يا هند ؟!

تبسمت هند ، وقال الأب : بارك الله فيك يا ابنتي ! ..الحق أنك ذكية ولطيفة وطيبة ، وأتمنى لك من كل قلبي السعادة الأبدية في الدنيا في حياتك معنا .

واستأذنت الفتاتان من الوالدين، وعلقت فوز وهما تمشيان نحو حجرة فوز : أهلك طيبون جدا يا صديقتي !

ردت هند شاكرة: هذا من لطفك يا عزيزتي ! .. وسلمي لي على والدتك وأختك واطلبي منهم أن يسامحونا على الإزعاج الذي سببناه لهم .

تبسمت فوز ولم تعلق بشيء .



شرق ... ... غرب

انطلقت فوز في ضحى النهار التالي بسيارتها إلى قصر والدها ، لتحيي وتسلم على أختها القادمة من بلاد الغرب ، فأختها سميرة بعد نجاحها في الثانوية ، أرسلها سامي لدراسة الطب في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية ، ولما التقت الأختان تعانقتا عناقا حارا وبعد الكلام التقليدي المعتاد في مثل هذا المقام ، قالت سميرة متبسمة الوجه في وجه أختها : أوه .. يا فوز! عندما كانت تحدثني أمك عن جلبابك وصلاتك ، كنت أقول لها " أظن يا أمي ! أنها نزوة عابرة أو سحابة صيف زائلة "، لقد كنت مشتاقا لسفرك إلينا ، لقد تغيرت كثيرا .. أنت تغيرت فعلا يا فوز المشاكسة ! ..

ثم قالت مقطبة الجبين: والزواج الغريب والعجيب الذي حدثتني عنه أمك ..لا أدري كيف ترضين بهذا الزواج أو بهذه الحياة ؟!..ما الذي جرى لك أيتها البنت؟!

فنهضت فوز قائمة تتمشى أمام أختها وهي تقول باسمة : ألست جميلة بهذا الثوب الذي يغطي جسدي؟!.. جسدي كله ، ويخفي محاسني عن عيون الناظرين المراهقين ..لا تبحلقي فيّ الحسن والجمال لم يخلق في المرأة ؛ ليكون عرضة لكل الناس .. هو هبة ربانية ، ومن حق الزوج وحده النظر إليه يا أختي! ما أجمل ديننا يا دكتورة !

ثم عادت للجلوس والتحديق في وجه أختها وأمها .

فقالت الدكتورة متجهمة: أمرك مدهش.. فوز عاشقة الملابس الحريرية الثمينة ، والأغاني الغربية تتخلى عن كل ذلك ؟!

أجابتها فوز بسرور وثقة : الحمد لله رب العالمين ، لقد أدركني الله قبل السقوط الكامل في مهاوي الإباحية والمدنية الغربية .. لقد اخترت طريقي واخترت زوجي .. وضميري الآن مرتاح كل الارتياح .. ما أصعب الفراغ الروحي ! ، وأتمنى لك أن تتعرفي على حياة الإيمان والصلاة .. وما أروع المناجاة للرحمن !!

قالت سميرة بجفاء ونفور: لا تتمني لي ذلك .. تمني لي إنهاء دراستي والتخصص في جراحة

القلب أو أي جراحة .. المهم أن أكون جراحة .. قليل من النساء من يتخصصن في الجراحة .. آه ! لو يراك مازن الآن لشبع منك سخرية وضحكا ؛ ولكنه مازال نائما ، ولا يحب أن يوقظه أحد

وتحدثت فوز مع أمها بضع دقائق ، وعادت تتحدث مع أختها ، وتسألها عن حياتها وأخبارها في الغرب الأمريكي ، فأخذت سميرة تتكلم عن الغرب والحياة في أمريكا بكل حماس وحمية ، وتصف الحياة هناك بأنها جنة عدن ، وأن حياة الشرق كلها ظلام وفقر وجهل وتخلف وأمراض وتنمية ضعيفة للبشر والبلاد ، وحكام لا يحترمون الحرية الفردية ، ولا يهتمون بها هدفهم الأمثل المحافظة على كراسي الحكم التي يتربعون عليها بالقوة ؛ وليس باختيار الشعب لهم ، فهم يذلون شعوبهم إذلالا .

ولما انتهت سميرة من مدح وبيان فضائل الغرب الأمريكي في نظرها ، وبينت عدالة الأنظمة والقوانين في تلك البلاد ، وتساوي الناس هناك أمام القوانين صغيرهم وكبيرهم .

ردت فوز قائلة ، فهي كانت تحمل قبل أقل من سنتين مثل هذه الأفكار: هذه مأساتنا نحن المسلمين، ندافع عن الغرب أكثر من الغربيين أنفسهم؛ لأننا لا نحاول أن نرى عورات المجتمعات الضالة ، فيوجد في كلامك حق ، وفيه باطل كثير .. فحياتنا كلها ظلام هذا ليس صحيحا ، فالمتمسكون بدين ربهم بإسلامهم يحيون في نور وسعادة ، والدين لا يمكن أن يكون ظلاما ، بل حياتي السابقة كلها ليل وغفلة ، هدفها الأسمى إماتة الوقت في لهو ومتع زائلة ، والحياة من أجل الحياة ، وهل لهذا خلق الإنسان؟!..

وأما الكفار مهما كان عندهم من نور الدنيا ، فهم في ظلام وحياة ضنكا ، وأما الفقر ففي أمريكا فقر وفقراء وجياع ، ومع قوة أدوات الحماية عندهم فالجرائم الكبيرة والصغيرة شائعة في مدنهم وكل يوم تتناقل وكالات الأنباء عن فظائع الأجرام هناك ، لا تنكري ذلك ، يكفي أن أغنياء تلك البلاد يمشون ولهم حراس أمنيون يتبعونهم في خطواتهم ، فأيّ حياة هذه الحياة ؟! العلم الأرضي هم حقا متقدمون فيه ، ولا يمكن إنكار تفوقهم بذلك ، وهناك أيضا دول في آسيا

متقدمة فيه مثلهم ، بل تنافسهم وتسبقهم في بعضه ، وأما تأخر المسلمين فيه فله أسباب متعددة من أهمها تبعيتهم لدول الاستكبار والاستعمار ، أما علوم الدين والنجاة من ظلام الدنيا ، فالمسلمون لهم السبق في ذلك ، فتراثنا فيه خيرات وميزات ، نجهل الكثير الكثير منها، وهناك الفرص متاحة للأفراد للتميز أكثر من هنا ؛ لصلاح أنظمتهم السياسية ، فقد ابتعدوا أو انتهوا من الثورات والانقلابات ، وأما تواريخهم الماضية فكلها ثورات وحروب عالمية ، وأما الأمراض فهم حقا متقدمون في علاجها ، وبلاد العرب لا تخلوا من تقدم فيها ، وعندهم أمراض وعندنا أمراض .. وأما ظلم الحكام فهذا لا ينكره أحد ، فما زالت بلاد العرب والمسلمين تعاني من تسلط الحكم الديكتاتوري ، وهذا سببه لعلمك الاستعمار والاستعباد الذي خيم على بلاد العرب والمسلمين ، وأكثر هؤلاء الأوصياء من بقاياه .. فإسلامنا العظيم ما زال في صدور الرجال والنساء فقط ، أما في واقع الناس فهو مغيب ، والأدلة كثيرة ، وأشهر هذه الأدلة أنّ المحاكم التي تحكم في قضايا الناس وحاجتهم مـختلفة الأنواع والأسماء .

قالت سميرة سامي التي كانت تسمع لأختها هذا الكلام الكبير والطويل بانبهار شديد : والله يا فوز ! إنك تغيرت واستقام لسانك الأعوج .. أما زلت تحفظين أغاني الشرق والغرب ؟!

ردت فوز: أتسخرين مني؟ .. الحمد لله رب العالمين ، لقد نسيتها كلها ، وقد أبدلني الله خيرا منها ، فقد حفظت سورة البقرة والأجزاء الأخيرة من كلام ربنا من القرآن الكريم .

قالت سميرة : لقد ذكرتيني بفتاة زميلة لي في كلية الطب من أسرة مسلمة تقطن أمريكا ، وهي من أسرة متدينة ، وهي تحفظ كما تدعي القرآن الكريم ، وهي مثلك متحمسة لدينها ؛ بل كثير من فتيات الغرب في الجامعة صححن أفكارهن عن الإسلام بعد مجالستها ..

ثم رسمت سميرة ابتسامة ساخرة على وجهها ، وهي تلتفت إلى أمها الجالسة منذ بداية اللقاء بصمت وقالت : ألم تهدي أمك يا فوز؟!

قالت فوز: أدعو لها ولك بالهداية ، والهادي هو الله ، فالهداية والتوفيق بيده وحده ، يهدي من يشاء إلى ملكوته ، نحن علينا بالدعاء والدعوة وبس .

وهنا قالت سميرة : والآن ، ما قصة زوجك المحبوس ؟!

ردت فوز : شاب متحمس لدينه ، يرغب أن يرى أحكام الشريعة تطبق على مجتمع المسلمين ، فمن أجل ذلك هو محبوس .

ونهضت قائمة وهي تقول: وأريد أن أستأذن، وسوف أتصل بك ، وأنا مستعد لاستقبالك في بيتي إذا رضي والداك .

قالت الأم معترضة على اقتراح فوز : لا داعي لذلك ، فها أنت قد رأيتها ، ولما تشتاقي إليها فالبيت مفتوح لك ، فهذه أول مرة تزورنا منذ تزوجت .

فقالت سميرة : ما دام زوجك البطل مسجونا ابقي عندنا .

ابتسمت فوز وهي تقول : آسف جدا يا أختي الدكتورة ! فلي بيت وأهل ، أتريدين أن أضايق أبي العزيز ؟!.

فقالت سميرة وهي تنظر إلى قسمات وجه والدتها : سوف أزورها يا أمي ! لأرى هندا صاحبتها التي كانت تحدثني عنها في بعض رسائلها الجميلة ، إنها تحب هندا كثيرا .

فقالت الأم بامتعاض : هذا الأمر لأبيك !

وخرجت سميرة تودع أختها الصغيرة ، ولما وصلتا باب القصر قالت: يا فوز ! لم تسلمي على ابن خالك .

قالت فوز : سأكلمه بالهاتف .

قالت سميرة وهي تصافح يد أختها وتشد عليها: أنا بشوق كبير إليك يا فوز! لعلك تقضين بضع ليال معنا .

قالت فوز: أبوك لا يرضى ، ولا يحب رؤيتي ومجالستي ؛ لأني أذكره بمعاصيه وآثامه ، حتى لم يدعوني لطعام منذ خرجت من هذا البيت ، وأنا أرحب بك في غرفتي الخاصة .

ضحكت سميرة لقول فوز "غرفتي الخاصة " وقالت : في غرفتك! أليس لك شقة ؟!

قالت فوز: لي شقة ؛ ولكنها مغلقة، وأنا الآن أعيش عند أهل زوجي المسجون ـ فك الله كربه ـ

يا حبيبتي! على كل حال إذا وافق أبوك لك على زيارتي فاتصلي بي ، وأنا أرحب بك ، وأسرة مهدي يرحبون بك ، وسأطلب من حماتي العجوز الطيبة أن تصنع لك طعاما لذيذا ، لم نأكل مثله في كنف والدنا العزيز، استأذني والدك وأخبريني ، على الأقل تتعرفين على أهلي الجدد .. أناس يعرفون الحب الخالص .

قالت سميرة بمرح وحماس: سوف أفعل أيتها الحبيبة! .. إنك تحبينهم حبا ظاهرا عليك يا فوز!

ردت فوز: أناس طيبون! وبيئة إيمان راقية ، الكبير والصغير ملتزم بالإسلام قولا وفعلا بدون جبر وإكراه ، مجتمع صغير محافظ ، الكبير يرى أنه قدوة للصغير والصغير يحاكي الكبير.

قالت سميرة وفوز تجلس في مقعد السيارة : أنت شجاعة! لقد انتصرت على هواك وشهوات الشباب وهوسه في هذا الزمن المغري .. الزمن الصعب !



حكم القاضي

حكم القاضي في قضية المهندس مهدي مروان ، بعد ستة شهور من اعتقاله والتحقيق معه ، بحبسه واعتقاله خمس سنوات مع التنفيذ ؛ لأثارته الشغب والفتن في مدرجات الجامعة ، ويبدأ تنفيذ الحكم منذ أول يوم أوقفته فيه أجهزة الأمن ، وتلقت فوز وأسرة مهدي الحكم بصبر، صبر المؤمنين ، صبر الابتلاء ، وما كاد والد فوز يصل إليه هذا الحكم في زوج ابنته حتى اتصل بها ، وعرض عليها أن تفارق زوجها السجين ، وتطلب الطلاق منه ، فرفضت العرض بشدة وغضب، وأصرت بالبقاء على ذمة زوجها المتحمس لدينه وإسلامه .

وكان مهدي قد علم قبل جلسة الحكم في قضيته من لقائه بمحاميه أن التهمة ثابتة ، وأنه مذنب فلذلك طلب فوزا ، وعرض عليها الفراق ؛ ولكنها رفضت فكرة الطلاق ، وأصرت على أن تبقى حليلته ، وأن تقف بجانبه ، وأن ما يتعرضان له ، هو من الابتلاء والمحنة المقدرة على عباد الله المؤمنين ، والله بين أنّ العاقبة للمتقين.

وحاولت أسرة فوز أمها وأختها إقناعها بالطلاق والخلاص مما تورطت فيه على حد قولهم ، وأرسلت لها أختها التي تتعلم في أمريكا رسالة تحثها على فراق زوجها ، والسفر إلى أمريكا ، أو العودة لبيت الأسرة ، بعد أن حاولت إقناعها بذلك العرض على الهاتف ، وأيضا والد مهدي لمح لها بعد صدور الحكم بالطلاق من ولده بمثل هذه الفكرة ؛ ولكنها قالت بعزيمة وثبات: أنا ما زلت على مقاعد الدراسة، ودعوني أبقى بينكم ، فقد أحببتكم ، ووجدت لديكم الدفء الأسري ، فلا تحرمونني من ذلك ، وهذا قدري ، ولن أتخلى عن مهدي إلا إذا كان هو لا يريدني وتخلى عني .

فأثنت الأسرة ثناء حسنا على الفتاة الشجاعة إزاء هذا الموقف الكريم ، وانشغلت فوز وهند في الأيام الأخيرة من دراستها ، وهما تدعوان في جوف الليل وثلثه الأخير بأن يهون المولى سبحانه ظلم السجن وظلامه عن العزيز مهدي .

وأثناء تقديم فوز لاختبارات الفصل الأخير من الدراسة ، مرضت والدة فوز وعادت إليها

بعض الأوجاع التي عانت منها في الماضي ، وسافر بها والدها للعلاج في مشافي أمريكا ، وعندما كانت فوز تستقبل نتائج الدراسة والفصل الأخير وتتهيأ لحفل التخرج السنوي ، جاءها نعي أمها التي ماتت في تلك البلاد حيث ولدت قبل خمسين عاما ، ماتت وهي على ضلال وجهل ، فذرفت فوز عليها الدموع الغزيرة ، ودعت الدعوات الحارة من أجل روح أمها الهالكة ، وقد علمت فوز من رسالة تلقتها من أختها سميرة أنّ أمها ماتت وهي تود وترغب في رؤيتها ؛ ولكن والدها رفض تلبية هذه الرغبة ، وحال دون تحقيقها ، ومع صعوبة الداء الذي ألمّ بها ، كان يرى سامي أنّ الموت ما يزال بعيدا عنها ، ولا يعلم أنّ الأجل إذا جاء لا يتأخر ساعة ، ولو كان حول المريض مائة طبيب وممرض .

وقام أهل مهدي بمواساة وتعزية فوز والتخفيف من ألمها وحزنها ، وصبرت ورضيت بقدر الله ، ولما أهل العام الدراسي قدمت أوراقها اللازمة للعمل في إحدى المدارس الأهلية الكبرى ولما علم مالك المدرسة أنّ فوزا ابنة المالي الكبير السيد سامي سبل مدير أحد البنوك المهمة في البلد ، لم يتأخر في تعيينها في إحدى المدارس التي يملكها ، واندمجت الفتاة في وظيفتها .

وكانت فوز بعد سفر والدتها للعلاج في أمريكا قد خفت علاقتها بقصر أبيها ، ولقد أرسلت لها سميرة دعوة من واشنطن لمشاركتها في حفل تخرجها طبيبة ، وكذلك اعتذرت لأخيها فريد عندما دعاها لحفلة تخرجه من الكلية الشرطية ، وقد أصبح ضابطا برتبة ملازم ، ثم جاءت رسالة لفوز من سميرة تخبرها أنها قررت البقاء في أمريكا للعمل في أحد المستشفيات، ومتابعة الدراسات العليا ، والتخصص في طب القلب أو الكلى ، وعندما تزوج فريد من ابنة أحد الضباط ، دعيت فوز لحفل الزواج ، فاعتذرت عن المشاركة في الحفلة التي أقيمت في أحد الفنادق الكبار ، ثم بعد العرس بأيام ذهبت وباركت لأخيها وزوجته بزواجهما ، في بيت والدها الذي استقرا فيه ، وتمنت لهما السعادة والتوفيق .

وكانت تقضي وقتها بعد عودتها من المدرسة مع كتاب الله ، والأحاديث النبوية ، وأحيانا ترافق هندا في زياراتها لأخواتها أو أقاربها ، وكم شعرت بالألم والحزن مع فرحها الشديد لهند عندما

تزوجت وفارقت بيت والدها ! فقد تزوجها ابن عمها مالك عبد العزيز ، وما كادت تمضي الأيام حتى ولدت هند ، وفوز ما زالت تنتظر زوجها القابع في السجن بفارغ الصبر والرضى ، وبعد أن وهبت هند المولود الثاني بأيام ، خرج مهدي من السجن الذي أمضى فيه ما يقارب أربع سنوات ، وفرحت الأسرة الكبيرة بعودته بعد عذاب السجن .

ولكنه خرج وكله إيمان وقوة ، وقد تمكن من حفظ كتاب الله تعالى ومعرفة الكثير من تفسيره ، وقراءة الكثير من كتب الإسلام العظيمة ، وبعد أن انتهى من استقبال الأهل والأصحاب المهنئين بخروجه من الحبس ، انتقل للسكن في الشقة التي أهداها والده لفوز في عمارة البحر الأزرق .

وكانت فوز قد حفظت أكثر من نصف القرآن في فترة غياب زوجها في السجن ، الزوج الذي لم تجلس معه إلا بعض الوقت قبل الزواج ؛ ولكنها كانت ترى أنّ ذلك اختبار وامتحان لها من الله عز وجل ، فصبرت صبر الموحدين على الفراق ، ولما خرج مهدي من سجنه ، حمدت الله حمدا كبيرا وكثيرا ، ورأت أنّ السعادة قد أقبلت إليها من جديد .

***** *****

بعد خروج مهدي من السجن بأشهر يسيرة جرت في البلاد فتنة ، فقد قام أحد أفراد الأحزاب العلمانية المتطرفة بمحاولة اغتيال أحد كبار رجال الحاكم ، فوجه الاتهام بادي الأمر لشباب الأحزاب الإسلامية ، واقتيد مهدي من شقته في جوف الليل إلى دائرة التحقيق ، ومكث فيها أسبوعين ، وهو يخضع لقسوة العذاب والإهانات والظلم ، حتى تمكن رجال الأمن والشرطة من الوصول إلى بعض المتهمين في محاولة القتل ، فأفرج عن مهدي وزملائه ، فبعد هذه الحادث الصادم قرر مهدي الخروج من وطنه إلى وطن فيه أمان وحرية أكثر.. فقد أصبح العاملون للإسلام في ظل الأنظمة الحاكمة في بلاد الإسلام موضع اتهام في كل ظرف وحين .. فتعاقد مع إحدى الشركات الكبرى في أحد الأقطار الإسلامية الغنية ، ولما استقر في عمله الجديد هنالك انتقلت إليه زوجته فوز ، وطابت لهم الأيام والهدوء في بلاد الغربة .. وكانت تأتيهم أخبار

الوطن المحروق ، فقد تولى مقاليد الحكم والسلطة فيه دعاة القومية والعلمانية ، فازداد التضييق على الشباب المسلم الملتزم في شمال الوطن وجنوبه ، وكثرت حركة الاحتجاجات الشعبية هنا وهناك ؛ ولكن لا حياة لمن تنادي ، فلقد أصبح الوطن في ضنك شديد من هؤلاء المتسلقين .

وأمضى الزوجان عشر سنوات في الغربة ، وهما ينعمان برغد من العيش والسعادة والأمن ، وقد وهبهما الوهاب ولدين خلال تلك السنوات ، وعلم مهدي بعد كل هذه السنوات من السعادة والراحة أنّ والده مروان مريض وهو في أيامه الأخيرة كما يخبر الأطباء ـ وعلم ذلك عند الله تعالى ـ ولكن الأمراض والشيخوخة قد اشتدا عليه ، فأنهى عقد عمله ، وعاد للوطن إلى مسقط رأسه ، وعادت الأسرة لوطنها بعد هذه السنوات الطوال ، وهم مطمئنون ؛ ولكنهم ما كادوا يستقرون في الوطن حتى استدعت أجهزة الأمن مهديا ، وبعد استجواب طويل ، طلب منه إما المغادرة وإما تحمل ما يتعرض له من مضايقات ، فبين لهم مهدي دوافع حضوره لبلده ؛ ولكنهم أصروا على أنه رجل غير مرغوب ببقائه في وطنه ، ووضع تحت المراقبة الدائمة ؛ لأنه تبين لهم أنه كان على اتصال دائم برفاقه وأصحابه أثناء غربته ، ولديهم صور عن عدد من الرسائل التي كان يرسلها لأصدقائه يشجعهم فيها على الثبات والصبر على أذى الطواغيت ، لقد وقع بعضها بين أيدي أجهزة الدفاع عن الحاكم وأعوانه

وبينما صاحبنا مهدي يفكر وينظر بالتحذير الذي تلقاه من رجال الأمن السري ، قد قام أحد المسلمين المتعصبين الناقمين على النظام بإلقاء قنبلة على مركز أمني ، فاضطربت البلد وقامت وما قعدت ، فقامت الحكومة الحاكمة باعتقال أعداد كثيرة من الشباب المتدين والمتردد على المساجد ، وبينما صديقنا مهدي يجلس بين أهله في وسط بيته وحوله زوجته وولداه الصغيران وعنده أخوه معتصم وزوجه وبعض أطفالهما ، وهم يتسامرون في ذلك المساء ، قرع أحدهم الباب باب الشقة ، فنهضت فوز لتنظر الطارق معتقدة أنه أحد أبناء معتصم يريد الدخول ؛ ولكنها لما فتحت الباب فوجئت بأخيها الضابط فريد سامي ، ومعه عسكريان ، وهم في عرض الباب ، فأصابتها الدهشة ، فهذه أول مرة تراه منذ أكثر من عشر سنوات .

فقال : مساء الخير يا فوز!.. كيف أنت ؟

فقالت ببطء وقلق : أهلا فريد .. ما الأمر ؟ فلا أرى أنك زائر.

قال بهمس واضطراب : الحق نعم ، ولسوف أزورك .. أنا لست زائرا أيتها الأخت المتمردة أنا أرسلوني للقبض علي زوجك.

فرددت قائلة وبدهشة : القبض على زوجي !! ويلك ! ويلك ! .. ألم يجدوا غيرك ليرسلوه ؟ حسبنا الله ونعم الوكيل .. ما التهمة هذه المرة ؟!

أجاب قائلا وهو ينكس وجه في الأرض : لست أدري!

ولحظ مهدي تأخر فوز عند الباب ، فاستأذن من أخيه لينظر من تكلم فوز فإذا هم رجال شرطة يقفون بالباب ، فقال : صبرا آل ياسر! .. ما الأمر يا حضرة الضابط ؟ .

فنظر إليه الضابط قائلا : مطلوب .. ولا أدري ما التفاصيل ؟ إنما كلفوني بإحضارك أيها السيد

فقالت فوز وكلها خجل واضطراب وامتقاع وجه : يا أبا عبد الرحمن ! .. أترى هذا الضابط الذي يقف أمامك ؟! ..إنه أخي فريد ..إنك لا تذكره على ما أعتقد !

فقال مهدي والدهشة مرتسمة على محياه : هذا أخوك ؟! للآسف إنني لم أره على ما أذكر إلا مرة أو مرتين .. لقد نسيت شكله .. معذرة !

قالت : نعم يا سيدي العزيز ! هذا أخي البار .

قال فريد بخجل وارتباك : أيها السيد ! أنا أقوم بواجبي .

فقال مهدي : تفضلوا .. سوف ألبس ثيابي وانطلق معكم ، فقد تعودت على استدعاءاتكم وتحقيقاتكم ، لا أدري ما الذي يخيف حكامنا من إسلامنا ؟! .. فها هم المتعصبون من النصارى والطوائف الأخرى يتمتعون في بلادهم بحرية ، ويتحركون ويتشددون ، ويعملون ولا تمنعهم سلطاتهم من العمل لمذاهبهم .

قال فريد بنبرة فيها حدة : أرجوك ..لا داعي لأي كلام .. البس ثيابك فقط ، وامش معنا ، وذلك من أجل خاطر أختي العزيزة ، وإلا فالمفروض أخذك بأي صفة وجدناك عليها .

رد مهدي مداعبا : لست سارقا ولا مجرما ولا قاتلا .

أجاب فريد وهو يتصنع الغضب: أنت أخطر على أمن البلد من كل ما ذكرت، البس بسرعة ولا تكثر من الرغي أيها الفارس !.. أعتذر إليك يا أختي !

فقالت فوز بحدة وضيق : لا عليك ، ما أنت إلا عبد لأسيادك أيها السيد !

صعق فريد لكلمات أخته الحادة ، ثم التزم الصمت ، وقال لنفسه : نعم ، أنا عبد لأسيادي .. ولِمَ لا أكون عبدا لهم ؟!

أطلع مهدي أخاه معتصما على جلية الأمر، وقال : لابد من الذهاب معهم ، خذ بالك من فوز والصبية ..

وسكت قليلا ثم قال بشدة وغضب : سأترك هذا القطر إن نجوت منهم هذه المرة .. إنني فكرت أو بدأت أفكر بالرحيل لبلاد الغرب والكفر ، فأنا أسمع أن فيها حرية لجميع الناس ولجميع الأديان .. يا رجل ! لم نفعل شيئا يضر البلد ، ومع ذلك يضيقون علينا في العمل ، وفي الحركة ، وفي النوم .. قاتلهم الله أنى يؤفكون ألهذه الدرجة يبغضون الدين والعاملين للدين ؟! .. يا أخي العزيز ! .. حتى الرسائل التي كنت أبعثها للصحاب والأحباب ، لقد اطلعوا عليها وصوروها ، وجواسيس الكفار والأعداء يرتعون في بلادنا ، ولا يستطيعون فتح رسالة أو طرد لهم .. حسبنا الله ونعم الوكيل !

فقال معتصم مواسيا: لابد لليل من نهاية! .. فهؤلاء العلمانيون ما صدقوا وهم يتسلطون على الناس والبشر ؛ ولكن فشلهم قريب .. فهم مبغضون من كافة الخلق ؛ واعلم أنّ الله مع الصابرين .

وانطلق مهدي مع نسيبه فريد إلى مركز الشرطة ، وهناك جاءت سيارة من سيارات الأمن السري ، وأخذوه إلى دائرة التحقيقات السرية ، وبعد أيام قضاها عندهم في سؤال وجواب تركوه ليعود إلى شقته ، ولما استراح من عناء ما وجده في ظلمات وسراديب النظام الحاكم قال لفوز ذات ليلة فجأة : يا فوز العزيزة ! .. ما أخبار أبيك .. عمي .. حماي المحترم ؟ .

حملقت فوز في عيني مهدي لحظات ، فقد دهشت لسؤال مهدي المفاجئ عن والدها وقالت :
أبي ! ..إنه بخير كما أخبرتني سميرة آخر مرة .
فقال : أما زالت تكتب إليك من أمريكا ، ما أخبارها الآن ؟.
ردت فوز ، وهي ما زالت حائرة من حديث مهدي المفاجئ عن أبيها وأختها : طيبة ، وإنها بخير ، وكما تعلم ، فهي قد تزوجت هناك من أحد أقاربنا ، وما زالت تشتغل هناك ، ولسوف تستقر هناك على ما أعتقد للأبد .. وأما أبي العزيز المحترم يا محترم ! منذ تزوج بعد وفاة أمي لم يكلمني إلا بضع مرات ، أظن أنها تعد على أصابع اليدين.. فلا أعلم أخباره التفصيلية .. فكل المدة التي قضيناها في الغربة لم يتصل بي مرة واحدة ؛ بل أنا التي كنت أكلمه ..
ورسمت ابتسامة على وجهها وهي تقول : هل من شيء تريده منه يا سيدي المحترم ؟!
فقال وهو ساهم النظر: نعم يا سيدتي المحترمة !.. فأبوك رجل أعمال كبير ، ومعروف في البلد وفي وسط رجال المال .. وها هو أخوك ضابط كبير أيضا رتبته رائد رتبة لا بأس بها.
فقالت : المهم ماذا تريد منهما ؟!
فتغير وجهه وتجهم ، وخيم الحزن عليه وهو يقول : فوز ! ..أريد أن أغادر هذا الوطن ، ألا يمكنه مساعدتنا للسفر إلى ألمانيا أو هولندا .. أوروبا مثلا.
فصمتت فوز صمتا طويلا ، وتأملت طلب مهدي بحيرة واستغراب ، ثم نظرت إليه وقالت: والأولاد أليس عليهم خطر في بلاد الكفر والضلال ؟!
فقال مهدي: لقد فكرت في ذلك يا عزيزتي ! وقد علمت أن بلاد الغرب تحسنت أحوالها مع الجاليات الإسلامية ، وثانيا أنّ هناك مدراس إسلامية تتبع للجاليات ، وثالثا نحن بحمد الله أطفالنا ذكور ، ولم نوهب الإناث بعد ، فالخوف على الفتيات أكثر من الذكور في تلك المجتمعات ، والخطر موجود لا أنكره ، ولن يكون احتكاكنا بهؤلاء القوم كثيرا .. وتنهد وهو يقول : وأخيرا لم أعد أطيق الحياة هنا .. وعندما تتحسن أحوال بلادنا نعود إليها .. فأنا مخير بين الرحيل ، أو الاندماج في حركة تمرد لا يعلم مداها إلا الله .. فاعلمي أن صدور شباب الإسلام

تغلي ، فما أحدثه هذا المتهور إلا شرارة صغيرة ، قد تشتعل بعدها النار والانفجار.

قالت فوز وهي تعمق الفكر والتدبر في كلام زوجها وحججه : فالأمر خطير تراه إذن !!

همس قائلا : كما ترين اعتقالات مستمرة ..إهانات مذلة .. فالبركان يكاد أن ينفجر .. والغضب في الصدور شديد .. وأنا أريد الهرب من هذه العاصفة القادمة .. فأكثر قيادات الفكر الإسلامي الآن شباب مندفعون ، وفي صدورهم كبت واحتقان مما يلقون من السلطات ووقت التغيير للأفضل لم يأت بعد .

وبعد حين من الصمت العميق بين الزوجين قالت المرأة : أمقتنع بما تفكر ، وبما تريد يا سيدي المحترم ؟!

رد الزوج المحترم قائلا : لست جبانا يا فوز ! وأنا منذ خرجت من السجن ، وسافرنا للعمل خرجت من قيادة الحزب الإسلامي وأنت تخبرين ذلك ، بل خفت علاقتي بالتيار الحركي ، بل لما ألقي بي في غياهب السجن خمسة أعوام نزعت مني القيادة الفرعية ، وأعطيت لشخص آخر وأصبحت شخصا ثانويا ، ولما سافرنا للخارج أصبحت عضوا مناصرا ..اعلمي يا سيدتي المحترمة ! أنه ما زال الخلل فينا ، فعندما كنت على مقاعد الدراسة كنت عضوا فعالا ومهما ، ولما طرحت في السجن أصبحت عضوا خاملا غير فعال ، فنحن بحاجة لإصلاح وتقويم ، فالأرض التي نقف عليها ليست صلبة، فالجهل بين شبابنا ما زال موجودا .. فالحماس وحده لا يكفي للتغيير .. والقدرة على التحمل لدى الكثير من الشباب ضعيفة .. القيادات مهتزة .. وأيضا هذا الحكم تحميه أيدي خفيه عالمية.. فجمهور الأحزاب الحاكمة جمهور ضئيل ومصطنع فما زالت قوى الاستكبار تربض وتتحكم في مقدرات البلاد بأشخاص منا!.. وأجهزة الأمن عندنا لا تريد أن تقتنع أني شخص عادي مثل كثير من خلق الله ، فهي ما زالت ترى أني رأس مهم في الحزب .. فالخروج من الوطن في هذه الفترة يبدو لي أنه مهم .. هذا دفاعي عن نفسي أمامك .

قالت فوز مستسلمة لدفاع زوجها : سأكلم والدي ـ إن شاء الله ـ قريبا يا سيدي المحترم !

فقال مهدي : بل زوريه .. فهو والدك.. وما أساء إليك منذ فارقتيه .. وأما قصة وفاة أمك ورفضه ذهابك إليها هناك ، فهو معذور ؛ فإنه لم يكن يرى الموت قريبا منها .. فهؤلاء كما تعلمين يا عزيزتي! أكثرهم يهربون من حقيقة نهاية الحياة .. ورحم الله أمك ، وهدى الله أباك.

فقالت : حسن .. سأفعل وأزور أبي الذي لا يسأل عني ، منذ أن سافرنا لم أره .. فكلما أذهب إلى قصره خلال الإجازات التي كنا نقضيها هنا ، لا أجده ، وتصرفني زوجة أبي وتعدني بأنه سوف يتصل بي ، وتنتهي الإجازة ولم أره أو أسمع صوته ، ولم يحاول الالتقاء بي .. وحتى لا أظلمه كما أذكر كلمني مرتين أو ثلاث عن طريق الهاتف .

قال مهدي : ولكنه كان يرد عندما تتصلين به من هناك.

قالت: نعم ، عندما أتصل به أنا ، أما هو لم يتكلم معي إلا بضع مرات .. سامحه الله ، لا يقع في قلبك أني أكرهه .. هو أبي ؛ لكن ما خرج من قلبي هو عتب على تقصيره نحوي .

قال مهدي : لكل ظروفه وأحواله ، وهو قد اتخذ منك موقفا قاسيا منذ البدايات الأولى لتوبتك وهدايتك .. فيا سيدتي الغالية ! .. اذهبي إليه في مكان عمله في البنك .

فقالت: سأفعل يا أبا عبد الرحمن ! وأريد أن أخبرك بأمر حدث أثناء التحقيق الأخير معك .

فقال : تكلمي فكلي آذان تسمع .

قالت : أشكرك !.. وأعلم ما تعاني من آذى نفسي على الأقل ، بعد اعتقالك بيومين اتصلت زوجة أخي فريد فيّ ، وأخذت تتعذر لي عن تصرف فريد معك ؛ فكأن فريدا أخبرها خبرك ، فقالت لي معتذرة "كان على فريد أن يعتذر عن هذه المهمة " ، وهي تعتذر إليك وتتأسف لعدم لياقة ولباقة زوجها .

فقال مهدي باسما : بارك الله فيها ، وقبلت اعتذارها .. وفريد كما قلت له ما هو إلا عبد لأسياده فهو كما يقول الضعفاء أعوان الطغاة دائما " ما أنا إلا عبد مأمور ".. فعليه أن يطيع أسياده طاعة عمياء ..عفا الله عن الجميع ، وعن أخيك المحترم

وقالت فوز: وهناك أمر آخر .. فزوجة فريد والدها ضابط كبير في الجيش .. ووعدتني يومها

أن يهتم والدها بأمرك ؛ ولكنك ـ والحمد لله ـ لم تمكث طويلا لديهم .. وهي ترغب بزيارتي .

رد مهدي وقد عاد يضع رأسه على المخدة : على الرحب والسعة .

قالت : ولكنها أجلت ذلك يومذاك ريثما تخرج من المعتقل ، وها أنت قد خرجت فهل أتصل بها ادعوها ؟

رد قائلا وهو يفكر ويتأمل بما أخبر : افعلي .. ثم رسم على جبينه ابتسامة ، وتابع قائلا كأنه قد تذكر شيئا بعدما تأمل في كلام فوز الأخير : آه ! .. فعلا يا فوز! بعد يومين من التحقيق الصارم معي تغيرت معاملة المحققين والحراس معي ، لم يعودوا يقذفونني بالنعوت القذرة ، يا ابن كذا وكذا ، بل حسنوا من نوعية الطعام المقدم لي ، وسمحوا لي بمخالطة المعتقلين ، والحديث معهم ، بعد أن كنت في زنزانة انفرادية ..آه !.. الآن أدركت سر هذا التغير! .. أوه لابدّ أنّ والدها ضابط كبير ومهم أيضا .. لها الشكر الجزيل ولوالدها ، ورحبي بها ، وجزاها الله خيرا .



الرحيل عن الوطن

لقد أصاب مهدي اليأس والإحباط من ظلم ذوي القربى ، وأراد أن يأخذ بنصيحة رجال الأمن والتخلص من الاعتقالات المتكررة ، ومن ثم البحث عن السكينة في بلاد الكفر والغرب ، ومما دفعه وشجعه للهرب أيضا تشرذم التيارات الإسلامية العاملة لعودة الإسلام حاكما للأمة ، ومما دفع صاحبنا للهرب تدافع وتصارع الأحزاب الإسلامية مع بعضها البعض ، وكل ذلك يصب في مصلحة بقاء الحكم الفاسد ، وبقاء الأحزاب الإسلامية ضعيفة أمام العلمانيين والقوميين وغيرهم ، فلذلك كان القرار الحاسم من مهدي بمغادرة البلد من جديد إلى بلاد الغربة ، إلى بلاد يقال أنّ فيها حرية ؛ ولكن ضمن القانون الذي يسودها .

وفوجئ السيد سامي سبل برؤية ابنته في انتظاره أمام مكتبه في البنك الكبير الذي يديره ، وبعد كلام بارد وفاتر وعتاب خفيف بينهما استمع الأب لمشكلة ابنته، ثم قال شامتا أو متأسفا لحالهم : هذا اختيارك يا جميلتي ! ..أنت التي اختارت كل هذا العذاب .. فأنا لم أقس عليك يا بنيتي!.. فأنت التي اخترت دربا غير دربنا ، ولقد حاولت إنقاذك مما أنت فيه من الأحلام وأوهام القرون الوسطى ، فلا تكرهيني ولا تلوميني .. الناس تتقدم وأنتم ترجعون للوراء .

ولما رأى أنّ فتاته صامتة قال : سأدبر أمر سفركما .. أمهليني أسبوعا واحدا ، وسوف تكون تأشيرات دخول ألمانيا بين أيديكم .. أرسلي جوازات سفركم ، وأرجو منكم قبل سفركم أنّ أراك أنت والأولاد وزوجك الثائر الذي يحلم بأن يكون خليفة للمسلمين .

كانت الفتاة تسمع لكلمات السخرية والتهكم من والدها وهي واجمة صامتة ، فهي تعلم أنّ الجدال والتعقيب على كلامه لا جدوى ولا فائدة منه ، فلا حياة ، ولا فكر له إلا الازدياد من الأموال والكسب المشروع في قانون أهل الدنيا .. قانون الاستعمار والظلم .

وبالفعل لم تمض الأيام السبعة حتى كانت تأشيرات الدخول لدولة ألمانيا الأوروبية بين يدي فوز وزوجها مهدي ، وقال لهما مدير مكتب السيد سامي ، وهو يسلمها لهم : إن الوالد المحترم قد حجز لكم أربع تذاكر إلى هناك ، ويود أن يراكم قبل سفركم ، فهو مساء يوم الأحد القادم

موجود في البيت في انتظاركم .. الساعة الثامنة مساء لا تنسوا ذلك .

تعجب أصدقاء مهدي لما علموا برغبته بالهجرة والسفر إلى ألمانيا ، فتحدث معه أكثر من صديق معترضين على فكرة سفره ورحيله .. ثم نشط لزيارته ثلة منهم يتقدمهم صديقه نمر حميد ، وقد صحبتهم زوجاتهم في هذه الزيارة الخطيرة ، وبعدما تصافح القوم وأخذ كل واحد منهم مجلسه في غرفة الاستقبال قال له نمر مغضبا : أزعجتني جدا .. أنا لست مستوعبا لهجرتك الجديدة والمفاجئة!

وقال آخر : نحن نعرفك شجاعا ومقداما وقويا يا أبا عبد الرحمن!

وقال الثالث : نريد أن نعرف الحقيقة والدوافع لهذا الفرار يا صاحبي ؟!

مسح مهدي جبينه من قطرات العرق التي تجمعت عليه وقال بألم وتخاذل : أنا متألم حائر ومتعب وفي غاية الضيق .. رغم غربة عشر سنوات .. وبروز قيادات جديدة في الحزب ما زالت قوى الأمن تنظر إليّ على أنني زعيم كبير في الجماعة .. وهم أيها الأفاضل يضغطون عليّ ويصرون على رحيلي من البلد .. أنا عدوهم الوحيد على ما يبدو ..

ضحك أحد الأصدقاء وقال : يا رجل كلنا يحدث معه هذا! .. حرب نفسية .. حقد حسد كبر هم يرغبون باختفائنا للأبد .. فالكل منا متضايق منهم .. ولكن بفضل الله ما زال الشباب الناشئ ينضوي تحت لواء الجماعة رغم العذابات والألم الممارس علينا .. يا رجل! الإسلام يسري في دماء الأمة .. مهما بذلوا وحطموا سيبقى الإسلام .. الأمة بخير .. لكن الهرب والانزواء لا يحل مشاكلنا .. أنسيت سنة التدافع الإلهية؟! .. فهؤلاء الناس يدعون أنهم يقومون بواجبهم لحماية الديار والعباد منا .. نحن حملة الرايات الإيمانية .. هل جلبت العلمانية والقومية للأمة أي خير؟ نحن سقم لهم .. فقرار السفر يا صديقنا غير سليم .. وما يحدث لك يحدث لنا أنا لما أخبرني نمر باستعدادك للرحيل لأوروبا صدمت! .. الكل يهرب ويخاف .. أوروبا أوروبا أليست أوروبا وراء كل مصائبنا ومآسينا ؟! .. يا صديقنا ! يا زعيمنا القديم ! مع كل الاضطهاد والإزعاج والخنق لقوانا مازال ـ كما قلت آنفا ـ الشباب يتجمعون تحت راية الإسلام .. الناس

تريد الإسلام .. الإسلام لن يهزم يا صديقي .. أخي مهدي فكر من جديد في قرار سفرك .. ها أنا كم مرة أرسلوا لي لمراجعتهم ؟! أحيانا كثيرة يأتيني البلاغ على المدرسة التي أعمل بها .. وأتعطل عن التدريس وأسبب إزعاجا للمدرسة من إدارة وطلاب .. وأحيانا أخرى أقضي بضعة أيام في ضيافتهم .. ومع ذلك ما فكرت بالرحيل والهرب .. السجن والاعتقال لقد تعودنا عليهما .. وأنت أيضا قد قضيت سنوات عمرك وشبابك في السجن .. ألم تعتقل ليلة زفافك؟! وكنت جبلا ونموذجا شجاعا لشباب الفكر الإسلامي الحي..

قد خيم الصمت والوجوم على الجميع ، وهم يسمعون عتاب زميلهم لمهدي .. وعاد الصديق يقول بعدما لعق لعابه : إذا كانت زوجتك أم عبد الرحمن التي عهدناها شجاعة قد تغيرت فاسمح لنسائنا يتحدثن معها .

عندئذ قال مهدي مدافعا عن زوجه : صدق أن فوزا غير متشجعة للرحيل والهجرة أنا الذي ضغطت عليها لتدبر لنا أمر السفر .

فغر الأصدقاء أفواههم دهشة وتمتموا بغمغمات غير واضحة ثم قال نمر : مهدي .. صديقي أنا أسمع كلاما مدهشا! .. والله أنا وقع في قلبي أن أم عبد الرحمن هي التي تشجعك على الهجرة والسفر .. عندما أعود وأتذكر لأيام زمان أيام الجامعة ونشاطك المحموم أستغرب مما أسمع .. يا أخي كلنا تعرضنا للعذاب والهوان .. يا رجل أصحاب الفكر الدنيوي يثبتون على فكرهم العفن ويقاتلون من أجله .. وأنت سافرت للخارج وبقيت سنوات .. لماذا هذه الهزيمة؟! ما دامت السيدة الفاضلة غير متحمسة وغير مريدة للهجرة لماذا تسافر؟! .. فكر بروية وتأنٍ .. أنت صديق العمر! .. هؤلاء الخصوم سيذوبون كما ذاب غيرهم .

دخل عبد الرحمن مهدي بالشاي الساخن ووضعه على منضدة صغيرة ، وأخذ يسكبه في الأكواب ، ثم قدمه لأصدقاء أبيه ، وأثناء ذلك قال أحدهم : نخشى أن تخسر أبناءك في الغربة يا ابن الحلال .. تلك المجتمعات فيها حرية زائدة .

صاح آخر : بل حرية مدمرة قاتلة !

كان مهدي يسمع وينظر لولده ولم ينطق حتى انصرف الفتى فقال : المسلمون اليوم في أوروبا أحسن حالا يا رجل! إنهم يتحركون بحرية .. يكتبون بحرية .. ألا تقرأ ما تأتينا به صحف العرب المهاجرة من أخبار ومعلومات؟! .. يعبدون بحرية .. يتنقلون بحرية ..

فقال أحدهم قاطعا الحديث : هذا وهم يا رجل .. هؤلاء الناس ما زالوا يبغضون الإسلام والدين .. ولا تنظر لحسنات القوم فحسب.. فالسلبيات كثيرة لا تكاد تحصى .. وكم من الأقارب هاجروا إلى هناك خلف المال والحرية والوهم ! ولكنهم ضاعوا وذابوا وفقدوا السيطرة على زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم .. انظر إلى عمك والد زوجتك مدير البنك عندما درس في أمريكا وعاش بها ردحا من الزمن ماذا أصبح ؟! وغيره كثير ..

فقال مهدي كأنه غير مقتنع بما يسمع : وهل للآباء سيطرة على أولادهم هنا في بلاد المسلمين.. الكل يقلد الغرب .. يقلدونهم في اللباس والعمارات والمجون ..

ـ يبقى الأمر أخف من هناك .. ما زالت التقاليد الإسلامية موجودة وتراعى يا أخ مهدي .. وما زال الفرق شاسعا بيننا وبينهم .

قال مهدي : الفرق صغير ..

قال آخر : أنت مرهق جدا .. كلك إحباط !

رد مهدي معترفا بضعفه : الوضع عندي ليس سلبيا ، لا أنكر ذلك أيها الأخوة .. لديهم مساجد كما لدينا مساجد .. لديهم دور لهو بصورها المختلفة ومثل ذلك عندنا .. المدارس التي تعلم الأبناء لا تختلف كثيرا عنهم .. دروس التربية الدينية ضئيلة عندنا ؛ ربما تكون دروس التربية الدينية عندهم أكثر مع يقيننا أن دينهم منسوخ .

أخذ الشباب الكهول يذكرون ويرون قصصا وأمثلة عن ضياع الأسر المهاجرة إلى العالم الغربي حتى ضجر مهدي مما يسمع فقال : يا قوم ! يا إخوان ! بقائي هنا ماذا يفيد المسلمين ؟! أوراقي كلها محروقة .. إنما أزيد هموم أمي وأبي .. أزيد هموم الأطفال الصغار .. كل اعتقال ولو كان إزعاجا وحربا نفسية ضدنا كما ندعي ونقول .. أليس في ذلك هم وغم ومضايقة للوالدين

والأبناء ؟! وركض إخوتي هنا وهناك ، أليس كل هذا يؤلمهم ويضايقهم ؟ وإن لم يقولوا بألسنتهم ؛ ولكن عيونهم تتكلم ! كلما يحدث همٌ في البلد يحضر رجال الأمن في الليل وفي النهار للقبض علينا كأننا مجرمون ولصوص .. وهناك نسمع كل الألفاظ القذرة .. نحن كبرنا .

ضحك أحدهم وقال : الذي يسمعك يظن أننا بلغنا الخمسين والستين يا رجل .. أنت تتكلم بيأس وإحباط شديدين.. هذا ما عهدناه فيك .. أنت لم تكمل السنة بيننا منذ عدت من الغربة ومع ذلك أصبت بكل هذا الوهن .

وقال ثانٍ: أنت تعودت على الراحة والسكينة والحياة العائلية الهادئة .. يا أخي كلنا لنا أهل وآباء وإخوة وزوجات .. فيؤجرون ويثابون على مشاركتنا همومنا وأحلامنا.. أليس نسعى من أجلهم لتعود حياة المجتمع إسلامية؟!

فعاد مهدي يقول : وهل كنا في غربتنا في راحة ؟! .. كل الدول تتعاون على محاربتنا ومعاداتنا صحيح أننا لم نعتقل أثناء وجودنا هناك .. ولكننا تحت العين .. الرسائل مكشوفة .. الاتصالات مراقبة .. تحركاتنا تحت المجهر.. علينا بالصمت ..عدم الحديث في السياسة والإسلام الحركي

وقال نمر حميد : ومع كل ذلك الهروب ليس هو الحل الوحيد ! مهدي أيها الصديق الحبيب ! لابد من الصبر والتصبر.. إن الفرج مع الصبر .

دخل الشاب الصغير يخبر والده أن طعام الغداء قد جهز وأعدت المائدة .. فدعا مهدي الأصدقاء إليه ، فعلق أحدهم وهم يسعون إلى غرفة الطعام فقال : إنك تريد يا مهدي! أن تحرمنا من هذه الجلسات .

ـ دعوني أجرب أوروبا.. أنا لا أخشى السجن فقد جربته .. والاعتقال الإداري فقد جربته .. دعوني أجرب الهجرة !

ـ عجيب أمرك يا أخ مهدي !.. لا أعتقد أن الحاج مروان يرضى لك هذا الاغتراب .. وأنت عدت من الغربة لشيخوخة والديك .. فكيف تبتعد عنهما ؟!

فقال مهدي : أنا أرهقهما بكثرة حبسي وتوقيفي والتحقيق المتتابع معي .. إني أحس بالألم الذي

أسببه لهما في سنهما هذه .. كلما يسمعان بأمر نقلي للأمن ينزعجان ويتحدثان مع المحامين.. تعب عليهم أيها الأعزاء .. لا أحد يستطيع إخفاء الخبر عنهما .. صدقوا هذا أيها الأخوة.

وتابع الأصدقاء ومن غير ملل ، ولا كلل المناقشة حول سفر مهدي المزمع على مائدة الطعام ، وأصر مهدي على الهجرة ولو لبضع سنين ، مدعيا أنه سيخدم الدعوة والدين من خارج الوطن ولن ينقطع عن التواصل معهم ومع الحزب .. وكشف لهم أنه حاول إنشاء شركة خاصة صغيرة وأن أجهزة أمن النظام حذرته من فعل ذلك ، فقال معقبا على هذا الكشف : أرأيتم ؟! إنهم يتمنون لنا الموت .. بل هؤلاء العلمانيون ربما يعتبروننا أمواتا .. علمانيو الغرب أصلح من هؤلاء التعساء .

قال أحد الأصدقاء : إذا على الشغل أنا مستعد أن أدبر لك عملا في شركة لأحد الأقارب .

قال مهدي : ستسبب له المضايقة والعذاب .. هم يا رجل يضيقون عليّ لأخرج من البلد .

ضحك أحدهم وقال : يا رجل أنت رجل مسالم .. منذ خرجت للعمل في الخارج ولم يوجد لك نشاط خطير ..

فأجاب مهدي: ملفي أسود .. أخذوا عني فكرة رهيبة .. كلما ينظر ضابط التحقيق في ملفي ويجده ضخما يظن أنني أكبر مجرم في العالم .. لا يوجد عندهم تبييض ملفات ، كما نسمع بتبييض السجون .. كل مقالة نشرتها لي الصحف حتى خارج البلد مصورة وموضوعة في الملف ، وأنني أهاجم فيها الحاكم والوزارة والأمن والشعب النائم .. علاقة سيئة بيني وبينهم هذه دول تحارب الدين رغم أنها تتدعي أن دينها الإسلام ..أي إسلام ؟ لا أدري ! هل نعود لتعداد مساوئ حكومات الدول الإسلامية وبما فيها العربية ؟!

قال أحدهم : الرحيل يا مهدي خطأ كبير!

قال مهدي بحدة : سأعود .. هل سأقضي العمر في ألمانيا ؟.. ألم يرحل الصحابة للحبشة مرة ومرتين ؟!

قال نمر بحزن وألم : هذا موقف شديد السلبية منك يا أبا عبد الرحمن .. نحن نصحنا لك كل

النصح .. وبقاؤك في البلد خير لك ولأهلك ولأولادك .. هنا تجد القريب والأب والأم والأخ والعم والخال .

قال آخر وبنغمة آسفة أيضا : نحن يعز علينا فراقك .. فقد صحبناك منذ أيام الجامعة والهندسة ونحن لما أخبرتنا بأنك شبعت غربة فرحنا ، وقلنا ستعود أيام الشباب والنشاط .. أيام توزيع المنشورات وقيادة المظاهرات والاحتجاجات .

ـ أنتم تعلمون أن وجودي في الحزب اليوم شكليٌ .

ضحكوا وقال أحدهم : حتى لو شطبوا اسمك من قائمة الأعضاء .. ستبقى ابن الجماعة ابن الإسلام .

فقال مهدي وقد شربوا القهوة بعد تناول الغداء : يا قوم ! " قطعت جهيزة قول كل خطيب " فتأشيرات الدخول لألمانيا جاهزة وتذاكر السفر قد هيئت .. دعوني أعيش هذه التجربة الجديدة دعوا الحاج مروان أبا محمد ينام بهدوء ويرحل بسلام ورحمة من الله .. كلما أخرج من توقيف واستجواب وأذهب للسلام عليه يتمزق قلبي حزنا وبكاء .. أرجو أن لا تطول الغيبة .

ـ شيء مؤلم يا مهدي.. نحن بذلنا كل الجهد في ثنيك عن الهجرة إلى أوروبا التي قهرتنا بجيوشها واستعمارها .. وها هي اليوم تستقبل شبابنا ورجالنا وعلماءنا ومهندسينا ومفكرينا بكل صدر رحب .. يا للعجب كم نحب من استعبدنا ؟! يبدو بأنك بدأت تحلم مثل الكثير بالحصول على الجنسية الغربية .

تبسم مهدي وقال : وهل الجنسية الغربية تحمي الناس؟.. إنها تحمي ذوي الأصول الأوربية أما نحن فلا .. صدقوا هذا!

ثم غرق مهدي فجأة في الضحك المرتفع حتى دهش الأصحاب من ضحكته فقال لهم : جن مهدي ، قولوا ذلك ، لا حرج عليكم !



وفي مساء الأحد المذكور التقى الأب بابنته فوز وزوجها مهدي لأول مرة ، منذ رأى رجال المخابرات يقبضون عليه في يوم فرحه وزواجه من ابنته ، وعانق الجد حفيديه عبد الرحمن وأحمد وأظهر فرحه برؤيتهما ، ودفع لكل واحد منهما شيكا بقيمة عشرة آلاف دولار أمريكيا، وأمضى الوالد ساعة من الزمن مع صهره وابنته، ولم يتكلم معه في مشاكله وهمومه ؛ ولكن مضى الحديث بينهم عن الحياة في أوروبا ، وتمتع الناس هناك بحقوقهم المدنية الكاملة ، ومدى احترامهم للقوانين والأنظمة التي صنعتها الأجيال .. ثم غادر مهدي وأسرته قافلين لبيتهم .

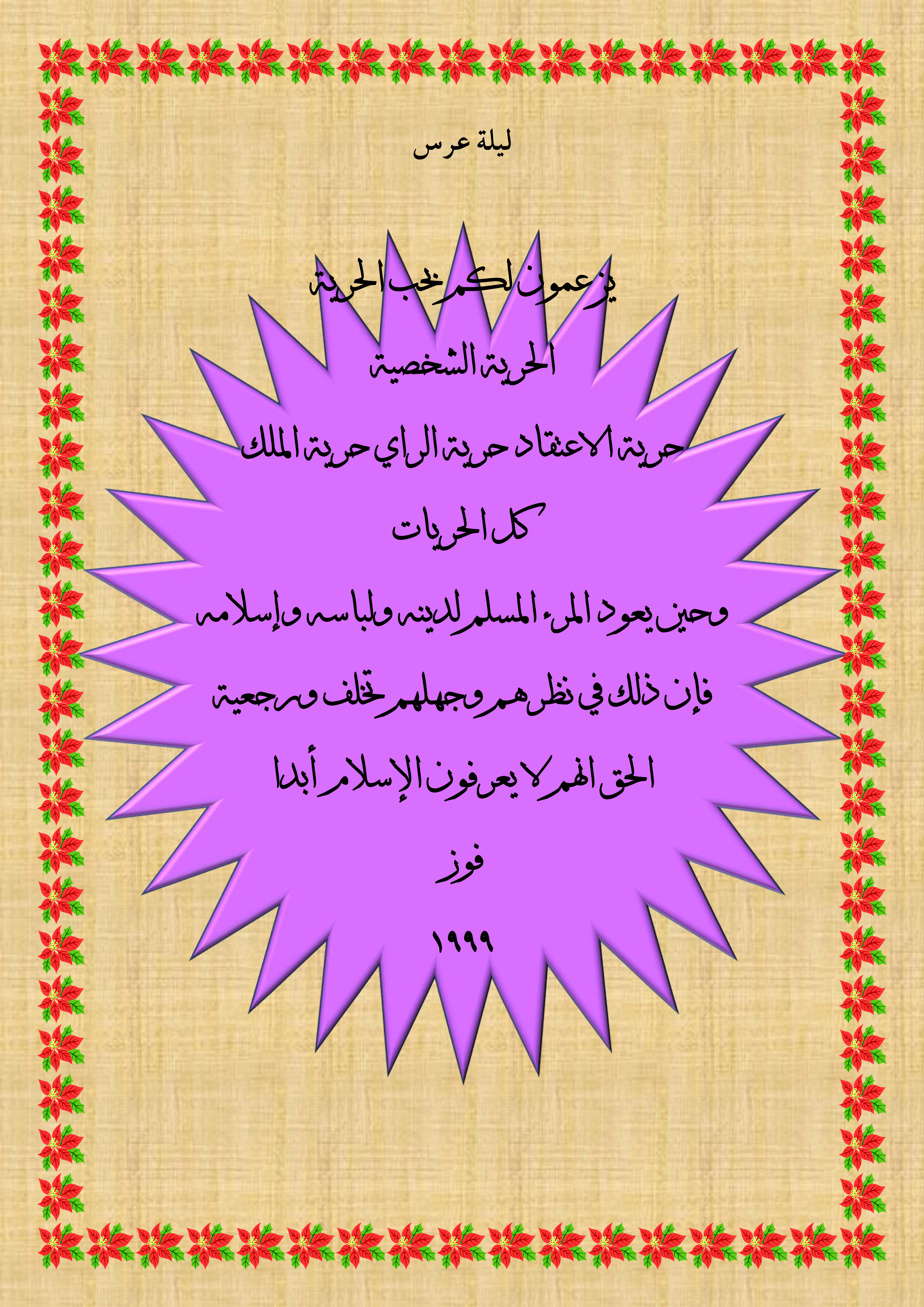
وكان الأب أثناء المغادرة قد أعطى ابنته شيكا بمبلغ كبير من المال، وأعطاها بضعة عنوانين يمكنها الاتصال بها هناك لمساعدتهم في حياتهم في ألمانيا.

ولما تهيأت الأمور للسفر أصاب مهديا اكتئاب ، وتردد في الرحيل ، وقد فكر كثيرا بإلغاء الرحيل ؛ ولكنه كلما يهم باتخاذ هذا القرار يتذكر جلد الجلاد ، وصفع الجنود ، والبصق على وجهه ، وصور الإذلال المختلفة التي يتعرض لهم المعتقل في سراديب الأمن السري ، وإنه لا فائدة من البقاء هنا ، في هذا الوقت عزم على الرحيل ..إنه يتذكر ، كلما يرتكب متدين عملا أو شغبا يعتقل مهدي مروان ؛ فكأنه مسئول عنه ، وما زاد الطين بلة في نظره تفتت وتصارع الأحزاب الإسلامية مع بعضها البعض .. فغادر بطلي قصتنا هذه أرض الوطن إلى أرض الغرب يلتمسان الهدوء والسكينة وراحة البال .. فبلادهم لا إسلام يمارس فيها ، ولا علمانية الغرب تطبق فيها .. نظام حسب الهوى والمزاج .. وفي ألمانيا استقرت الأسرة المهاجرة حتى تتحسن الظروف والأحوال في الوطن ، فلعلهما يعودان إليه مرة أخرى .. وذلك علمه عند رب العالمين .

" تمت بحمد الله "

جمال شاهين

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام خليل	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الشقق السوداء	١٠	حياتي قبل الحياة
١١	الحفل بالقط الأسود	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	



ليلة عرس

يزعمون لكم نحب الحرية

الحرية الشخصية

حرية الاعتقاد حرية الراي حرية الملك

كل الحريات

وحين يعود المرء المسلم لدينه ولباسه وإسلامه

فإن ذلك في نظرهم وجهلهم تخلف ورجعية

الحق انهم لا يعرفون الإسلام أبدا

فوز

١٩٩٩